(١)

شَرحُ
ثَلاثَةِ الأُصُولِ وأَدِلَّتُهَا

(الشَّرحُ الأوَّلُ)

تَصنيفُ الإمامِ

محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ سُلَيمانَ التَّمِيميِّ

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمهُ اللهُ تعالى

شرحُ فضيلةِ الشَّيخِ الدُّكتورِ

د. محمَّد محمَّدي بن محمَّد جميل النُّورستاني

حفظهُ اللهُ

الشَّيخ لم يُراجع التَّفريغ

النُّسخةُ الأُولى

(الشَّرحُ الأوَّلُ)

ثمانية مجالس

شَرح

ثلاثة الأصول وأدلتها

١

شرح
ثلاثة الأصول وأدلتها

(الشرح الأول)

تصنيف الإمام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور
د. محمد مهدي بن محمد جميل النورستاني
حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

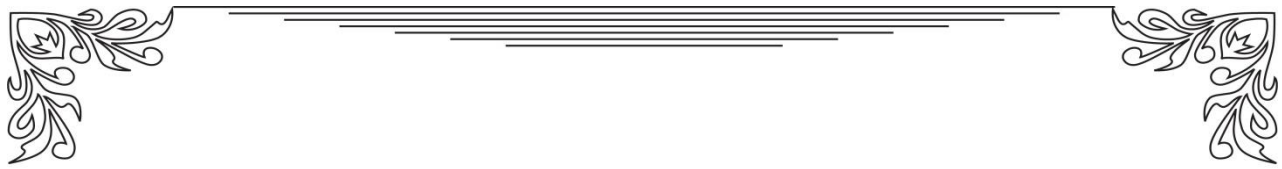

مقدمة المُشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نِعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن جعلَ فيها علماء ربانيين، وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرا وأسناها،

والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظا ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ **"التفريغات"** والتي تنقل علم الشيوخ من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة مما يهيئ السبيل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ على الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدارمي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدارمي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير [1].

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية **للشيخ محمد محمدي النورستاني** حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (الشرح الأول ٨ مجالس).

٢- الأصول الثلاثة (الشرح الثاني ١١مجلسا).

٣-الأصول الثلاثة (الشرح الثالث ١٧ مجلسا)

٤- القواعد الأربع (الشرح الأول مجلس واحد).

٥- القواعد الأربع (الشرح الثاني- مجلسان).

٦- القواعد الأربع (الشرح الثالث مجلسان).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد. (ولازال مستمرا).

١٠- العقيدة الواسطية (الشرح الصغير).

١١- العقيدة الواسطية (الشرح الكبير).

١٢- لمعة الاعتقاد.

١٣- العقيدة الطحاوية.

١٤- عقيدة الرازيين.

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود.

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية.

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

وسجلوا شيئا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل حق للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١٩- العقيدة التدمرية. (الشرح الصغير).

٢٠- العقيدة التدمرية. (الشرح الكبير، ولا زال مستمرا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر. لابن تيمية.

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة.

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرا).

٢٤- شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية. (ولا زال مستمرا)

٢٥- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر. لابن تيمية.

٢٦- شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن قيم الجوزية. (ولا زال مستمرا).

٢٧- شرح العقيدة الأصفهانية. لابن تيمية. (ولا زال مستمرا).

٢٨- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين.

٢٩- قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات. لابن تيمية.

٣٠- الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣١- فصل في الكلام على الاتحادية. لابن تيمية.

٣٢- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه. لابن تيمية.

٣٣- فصل في معنى الحي القيوم. لابن تيمية.

٣٤- الأخنائية، لابن تيمية. (ولازال مستمرا).

٣٥- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٦- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٧- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٨- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٩- المنظومة البيقونية.

٤٠- نزهة النظر.

٤١- المداخل إلى كتب السنة. **(ولا زال مستمرا)**.

ونُنبه هنا إلى أن هذه التفريغات مُعِينة ومساعدة إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جُهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقي ونسأل الله له المزيد من فضله وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرا له ورفعة وشرفا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات:

t.shoroh.dr.alnorstany@gmail.com

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ-أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُوْلَى: العِلْمُ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُوْرَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بَابٌ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»، وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قِبْلَ القَوْلِ وِالعَمَلِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:

فبداية، نبارك للإخوة الذين رتَّبوا لهذه المدرسة التأصيلية، نسأل الله أن يتقبل جهدهم وأن يشكر سعيهم، وأن يكمل مقصودهم، ومثل هذه المدارس التي يُعتنى فيها بتحصيل العلم الشرعي نحن بأمس

الحاجة إليها.

وهذه خطوة مباركة في هذه السلسلة -نسأل الله أن يشكر سعي القائمين عليها- والكتب والرسائل التي اختيرت لهذه المدرسة، اختيرت بفضل الله عَزَّوَجَلَّ بعناية.

وبالتأصل والتدرج بهذه الطريقة نكون أقرب إلى السبيل التي كان يسلكها علماءنا السابقون في التدرُّج في التعلم والتعليم، وهذه الرسالة التي نبدأ بها هذه المدرسة من الرسائل المهمة جدًا التي ألفها شيخ الإسلام والمجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قد ألفها مراعيا مستوى الطلاب المبتدئين، وكذلك مراعيا أن تدرس هذه الرسالة وتقرأ في الجوامع لتحفظ.

وخلاصة هذه الرسالة: أن شيخ الإسلام محمد يُعطينا فيها الأجوبة الكافية الشافية والصافية عن الأسئلة التي توجه للعبد في قبره، وهذه الأسئلة ستوجه للجميع، وهي: من ربك وما دينك ومن نبيك؟

هذه الأعمار التي أُعطيناها هي لنستعد للجواب عن تلك الأسئلة الثلاثة، وهذا العمرُ فرصة لنتهيأ ونستعد لنجيب عن تلك الأسئلة الثلاثة.

وهذا الاختبار إذا نجح فيه العبد فما بعده نجاحٌ كله، وإذا تلكأ فيه واختل جوابه في هذه الأسئلة فما بعده مترتبٌ على ذلك، أسأل الله أن يوفقنا لأن نجيب عليها كما يريده الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن التوفيق للعبد أنْ تُهيأ له مثل هذه المجالس التي يَدْرُسُ فيها العلم الشرعي على المنهج الصحيح منهج أهل السنة والجماعة، المنهج الذي يعتمد الكتاب والسنة لدينه، ويعتمد منهج السلف الصالح وفهمهم لفهم الكتاب والسنة.

وهذه الرسالة المختصرة قد أُلحقت بها رسائل ثلاث أخرى، منها هذه الرسالة التي قُرِأَتْ علينا، وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الرسائل ألحقها بعض تلاميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وهذه الرسائل الثلاث ليست من ثلاثة الأصول، ورسالة ثلاثة الأصول هذا اسمها "ثلاثة الأصول

وأدلتها"، وهناك رسالة أخرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ اسمها "الأصول الثلاثة".

وهذه الرسالة مطبوعة في رسائل الأئمة في المجلد الأول، وهي أخصر من هذه الرسالة، وهي تعتبر اختصارًا لرسالة "ثلاثة الأصول"، "الأصول الثلاثة" هي اختصار لرسالة "ثلاثة الأصول".

وهذه الرسائل الثلاث التي أُلحقت برسالة "ثلاثة الأصول" الرسالة الأولى منها هي: في وجوب تعلم أربع مسائل التي بدأنا بها، والرسالة الثانية: في توحيد الربوبية والألوهية ومسألة الولاء والبراء، والرسالة الثالثة: في بيان التوحيد وضده.

ومَنْ ألحق هذه الرسائل الثلاث برسالة "ثلاثة الأصول"، فقد أحسن صنعًا لأنها تعتبر كمقدمة لرسالة "ثلاثة الأصول"، كما سنلاحظ بأن هذه الرسائل الثلاث تعتبر مقدمة لرسالة "ثلاثة الأصول".

الرسالة التي بدأنا فيها هي تعتبر تلخيصًا لسورة العصر، والمسائل الأربع التي يجب تعلمها هذه المسائل هي التي اشتملت عليها سورة العصر.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بداية الرسالة: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّه).

هذا منهج الشيخ عمومًا يستفتح رسائله وكتبه بالدعاء لمن يقرأ كتبه ورسائله، وهذا من التلطف بطالب العلم، لأن من يطلب العلم يستحق أن يُدعى له، وخاصة من يطلب العلم الشرعي ويختار مثل هذه الكتب التي بنيت على أدلة الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّه-أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ).

وهذا الوجوب الذي ذكره الشيخ هنا يتفاوت فيكون وجوبًا عينيًا في بعض المسائل، ووجوبًا كفائيًا في بعض المسائل كما سنرى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأُوْلَى: العِلْمُ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ).

لم يُفصِّل الشيخ هنا فيما يتعلق بهذه المسائل الثلاث التي يجب علمها وتعلمها، لأن هذه الرسالة رسالة "ثلاثة الأصول"، في تفصيل المسألة الأولى التي هي العلم.

والعلم الذي ذكره هنا قسمان:

القسم الأول: ما يجب تعلمه على الأعيان، فيجب أن يتعلمه الجميع وتعلم البعض لا يغني عن الآخرين، بل يجب وجوبًا عينيًا على الجميع، فلا يعذر أحدٌ بجهله، وهذا هو القسم الذي لا يستقيم الدين إلا به، يجب على الجميع أن يتعلمه.

مثل: أركان الإيمان الستة وهي (الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره)، والإيمان بهذه الأركان الستة واجب على الجميع، ويجب على الجميع أَيْضًا أن يفهم القدر الذي به يتحقق الإيمان بكل ركن من هذه الأركان الستة، هذا القدر يجب تعلمه على الجميع، وكذلك أركان الإسلام الخمسة، أَيْضًا القدر الذي يُطبق به هذه الأركان، يجب هذا على الجميع، مثلا: ما يتعلق بالصلاة، وما يتعلق بالصيام، وما يتعلق بالحج.

ما يتعلق بالحج يجب أن يؤمن الجميع بأن هذا ركن من أركان الإسلام، ولكن من وجب عليه الحج فيجب عليه أن يتعلم التفاصيل التي بها سيقوم بأداء هذا الركن.

وكل المسائل التي تتعلق بأركان الإيمان وأركان الإسلام يجب تعلمها عينيًا، ويختلفون باختلاف القدر الذي يجب تعلمه وهذا عند التطبيق، هذا القسم الأول.

القسم الثاني: ما زاد عن ذلك من الأحكام الشرعية التي تحتاجها الأُمَّةُ بمجموعها، وقد لا يحتاجها كل واحد قد لا يحتاجها كل أحد بعينه، مثل: أحكام البيع، فيجب تعلمها على من يزاول البيع والتجارة، أما غيره فلا يجب عليه هذا التفصيل، وكذلك أحكام الأوقاف والمواريث والوصايا والأنكحة، هذه المسائل يجب أن يكون في الأمة من يتعلمها ويكون مرجعًا للبقية، والوجوب هنا هو الوجوب الكفائي، والوجوب في القسم الأول هو الوجوب العيني الذي لا يغني فيه تعلم البعض.

قوله: (**الأُوْلَى: العِلْمُ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ) وهذه بداية العلم، أول ما يجب في العلم أن نتعلمه هو ما يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، ما يتعلق بربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته.

قوله: (**وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) لأن النبي هو السبيل إلى معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ليس هناك طريقٌ

لمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ إلا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بعض الناس عندهم طرق كثيرة للوصول إلى معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، هناك العقل وهناك المنطق وهناك الفلسفة وهذه كلها تُراهات وشبهات، والطريق والسبيل الوحيد لمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ هو رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقوله: (**وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ**)، لم يكتف بقوله: (**مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ**)، لأن هذا لا يكفي، بل بالأدلة وليس بالتقليد.

والشيخ هنا يشير إلى منهجِهِ، ومنهجه ومنهج بقية الأئمة أنهم يُعلِّمون ويشرحون وذلك كله بالأدلة.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ:

الْعلـــم قَـــالَ الله قَـــالَ رَسُـــوله ... قَـــالَ الصَّـــحَابَة لَـــيْسَ خلـــفُ فِيـــهِ
مَـا الْعلـم نصـبك للْخـلاف سـفاهةً ... بَـــين الرَّسُـــول وَبَـــين رَأْي سَـــفِيه

بعض الناس لما يصله الدليل يبدأ يستشكل، يقول: ماذا أصنع برأي الإمام الفلاني؟ الأئمة دورهم هو الشرح والتوضيح والتعليم وتبليغ السنة النبوية، هذا دورهم فقط.

ليس دورهم أن يكونوا ندًا للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن الذي علمنا هذا المنهج؟ هم الأئمة أنفسهم، أكدوا وبَيَّنُوا ووضحوا هذا، حتى لا يأتي جيلٌ يجعلهم ويجعل أقوالهم أيضًا من الأدلة.

إذًا الدليل هو في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأقوال الأئمة يستضاء بها ويستفاد منها ويتعلم منها، ضَرَبَ الإمام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ مثالاً جميلاً بدور الأئمة في تعليم الدين، يقول: «**منزلتهم كمنزلة نجوم السماء**»، بالنجوم تتوصل إلى جهة القبلة تهتدي بها إلى جهة القبلة؛ ولكنك لما تصل إلى الكعبة والكعبة أمامك ثم تنظر إلى النجوم، لا يصح أن تقول: النجوم تشير إلى مكان أخر والكعبة هنا والدليلان تعارضا، لا، أنت وصلت الآن.

والأئمة خدموك في هذا المجال وأوصلوك وبالتالي لا تتقهقر ولا تبحث عن دليل أخر وهذه هي الأدلة، وهذا الذي يميز منهج أهل السنة والجماعة عن الفِرَقِ كلهم، فأهل السنة والجماعة يتمسكون بالدليل ويتعبدون به، أما غيرهم فأدلتهم كثيرة فأحيانًا تتعارض وأحيانًا تتوافق وأحيانًا يستدلون

بالكتاب والسنة وأحيانًا يُقَدِّمُ عليها كذا وكذا، أما الشيخ محمد وغيره فيعلموننا التمسك بالدين بالأدلة، وسنلاحظ أي مسألة يذكرها سَيَعْقُبُهَا بذكر الدليل، هذا هو منهجه لماذا بدأ الإمام محمد بالعلم وجعله هو المسألة الأولى؟

أولًا: لأن هذا هو الترتيب الذي ورد في السورة.

وثانيًا: لأن العلم هو الأساس، فيبدأ بالعقيدة ويبدأ بالأساس بالتعلم والتعليم والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو الترتيب الصحيح

أولًا: العلم والمراد بالعلم كما عرفنا هو العلم الشرعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ**)، لماذا تتعلمه؟ هل لأنك تريد أن تُعلم غيرك فقط؟ لا، تعليم غيرك بعد هذه المرحلة أولًا أنت تعمل به، أول ما تفعل بعدما تتعلم تعمل به، العمل به: (﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾).

يقول بعض السلف: «**كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، ومن عمل بما تعلم فقد رَسَّخَ ما تعلمه، ومن لم يعمل بما تعلمه فلا بركة في علمه ولا يبارك فيه ولا يبقى له هذا العلم**».

إذًا لابد أن تتعلم أولًا ثم تعمل به، والذي معه علمٌ ولا يعمل به هذا شرٌ من الجاهل، وهو أحد الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة، ويقول أحد المؤلفين في الفقه:

وعالمٌ بعلمه لم يعملن ... معذبٌ من قَبْلِ عُبَّاد الوثن

(**الثَالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ**)، الدعوة إلىٰ العلم الذي تعلمته بالدليل، تدعوا إليه لا تكتفي بأنك تعلمت لأنك بهذا قد تأثم، أنت علِمتَ وتعلَمتَ وعملت به هذا شيء عظيم، ولكن مما يجب عليك بعد أن تعلمت وبعد أن عملت به أن تدعوا إليه، وهذا هو الذي يدل علىٰ أنك مقتنع بما تعلمته وعملت به، الذي يتعلم ويعمل به أيضًا لا يُمكنه إلا أن يدعوا إليه إذا كان مُقتنعًا ومؤمنًا وموقنًا، والدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ هي من أَجَلِّ الأعمال وهي طريقة الرسل، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأعلىٰ مراتب الدعوة أن تدعوا

إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومنابذة الشرك وأهله، ثم تأتي بقية مراتب العلم.

(الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ).

الصبر لغة: هو المنع والحبس، وهو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها.

وحقيقته وخلاصته: هو خُلُقٌ فاضل يمنع من فعل ما لا يحسن ولا يَجْمُلُ، هذا هو الصبر وهو ثلاثة أقسام:

النوع الأول: هو صبرٌ على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فالمداومة على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ تحتاج إلى صبر ومصابرة.

النوع الثاني: صبرٌ عن محارم الله عَزَّوَجَلَّ، فمجانبة محارم الله عَزَّوَجَلَّ والبعد عنها أيضاً تحتاج إلى صبر وأيُّ صبر.

النوع الثالث: الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة، وهذا هو الذي يراد عموماً إذا ذُكر الصبر، **والنوعان الأَوَلانِ ليسا بأقل منهما**.

وكما قال الشاعر:

الصَبْرُ كالصِبْرِ مرٌ مذاقته ... لكنّ نتائجه أحلى من العسل

لماذا ذكر هذه المسألة الرابعة؟ لأنها وردت في الآية، ولأن الأذى لابد أن تتوقعه، أنت إذا تعلمت العلم الصحيح وبعد ذلك عملت به، وبعد ذلك بدأت تدعوا إليه فتوقع الأذى، لأن هذا هو طريق المرسلين الأنبياء والرسل، وأولي العزم منهم أكثر من تأذوا في هذه السبيل، لا ينبغي أن تقول: أنا ما ذنبي، أنا أدعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولا أُسيءُ إلى أحد فلماذا أُذى؟

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما أخذته أم المؤمنين خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا إلى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها، تمنى أن تتأخر وفاته ويشهد لمَّا يخرجه قومه، استغرب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقال: «**أو مخرجي هم؟**»، لماذا يخرجونني ما دام أنني سأكون رسولًا؟ استغرب.

وكل من يدعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ على المنهج الصحيح ولا يحيد عنه، ولا يبالي بأحد ويلتزم المنهج الصحيح فلابد أن يتوقع الأذى، فما هو واجبك في ذلك الوقت؟ أن تصبر، لماذا ذكر هذه المسألة؟ لأن الأذى لابد أن يناله.

والناس يتفاوتون في ذلك بحسب عملهم وعلمهم وبحسب قوة إيمانهم، والأذى والمشَّاقُ لا تدل على أن هذا الرجل أو ذاك الرجل مهانٌ عند الله عَزَّوَجَلَّ، لا بالعكس، فهذه هي المسائل الأربعة التي يجب تعلمها.

(وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾).

ما هو الدليل على أن هذه المسائل الأربعة يجب تعلمها، (قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾) الواو هنا للقسم، أي: أقسم بالعصر.

والعصر: معناه الدهر والزمان، هذا على قول الجمهور، وقيل: معناه هو الوقت المحدد الذي يكون بين الظهر والمغرب، والله عَزَّوَجَلَّ يُقسم بما شاء من مخلوقاته تعظيمًا له وإبرازًا لشأنه.

والزمان هو أشرف ما أُعطي الإنسان، لأنه هو الظرف الذي يتعبد ويتقرب فيه إلى

الله عَزَّوَجَلَّ ويجمع رصيده من العمل، لو أعطي أحدنا جميع ما في الدنيا ولكن ما عنده وقت ما الذي يفعل؟ ما يستطيع أن يقدم شيئًا، فلذلك الله عَزَّوَجَلَّ يقسم بالعصر حتى نعلم أهمية الوقت يقول: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وهذا القسم أَيْضًا يدل على أن المقسم به شيءٌ مهم، ومن أغراض القسم أن يُبَيِّنَ الله عَزَّوَجَلَّ أن المقسم به شيء مهم جدًا وسنعرف: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، (إنَّ) هذه من أدوات التوكيد، (لَفِي خُسْرٍ) اللام هذه تسمى اللام المُزَحْلِقَةُ وهذه أيضًا للتأكيد.

اجتمعت هنا ثلاث مؤكدات: القسم، وإنَّ، واللام التي تسمى اللام المُزَحْلِقَةُ، تسمى اللام المُزَحْلِقَةُ لأن من حقها أن تُجعل في المبتدأ، يقال مثلاً: لَلإنسان في خسر، ولكن اجتمع هنا مؤكدان وهما إنَّ واللام فأُخرت للخبر فزُحْلِقَتْ، هذه ثلاث مؤكدات وعلماء البلاغة يذكرون أن التأكيد لا

يحصل إلا إذا كان المُخَاطَبْ منكراً لما تقوله.

مثلاً: شخص تخبره أن فلانـًا جاء، ما يحتاج أن تقول: إنَّ فلانًا قد وصل، ما يحتاج لأنه لا ينكر هذا والمؤكدات تُزاد بحسب درجة إنكار الخصم، فمن الذي ينكر هذه الأمور؟ المشركون كانوا ينكرون هذه الأمور.

فلذلك جاءت هذه المؤكدات الثلاث، القسم وإنَّ واللام: (﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾)، الألف واللام هنا للجنس، جنس الإنسان واقع في الخسران والهلاك.

(﴿إِلاَّ الَّذِينَ﴾)، هؤلاء الذين اسْتُثْنُوا هنا استثناهم الله عَزَّوَجَلَّ هم أصحاب هذه المسائل الأربعة، أصحاب هذه المسائل الأربعة استثناهم الله عَزَّوَجَلَّ من هذا الخسران الذي يقع فيه كثيرٌ من الناس.

(﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾)، من هذا أخذ الشيخ محمد المسألة الأولى: العلم، لأن الإيمان لا يتم إلا بالعلم، إذا ما كنت تعرف أركان الإيمان، وإذا ما كنت تعلمت فكيف يكون الإيمان بكل ركن من أركان الإيمان، لا يمكنك أن تؤمن.

إذا ما كنت تعلمت أن الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ يتحقق بالتوحيد، والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، إذا لم تتعلم هذه الأمور لا يمكنك أن تؤمن، من هذا أخذ المسألة الأولى: وهي العلم.

(**قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**) الإيمان عند أهل السنة والجماعة عبارة عن اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان.

فالعمل داخل في الإيمان، فلذلك لو لم تُذكر جملة: (﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾) لكانت مُضَمَنَةً في قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لكن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر العمل الصالح مع أنه داخل في الإيمان، وهذا يقال عنه أنه من باب عطف الخاص على العام، وهذا كثير في اللغة وهذا النوع من العطف يكون الغرض فيه بيان شرف هذا النوع الخاص الذي خُص بالذكر.

فيكون لبيان شرفه ووجوب الاهتمام به، وهذا الذي فعله الإمام محمد، جعله مسألة مستقلة العلم

والعمل، وهذا أخذه من قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

(﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾)، هذا الباب من باب المفاعلة والمفاعلة تكون من الطرفين، هذا يوصيه وذاك يوصيه، والتواصي بالحق هو الدعوة إلى العلم الصحيح وهذه هي المسألة الثالثة، ولا يكفي فيها أن تدعوا مرة واحدة بل تستمر في التواصي وتجعلها ديدنك.

(﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾) أيضاً بعضهم يُذَكِّرُ بعضاً بأنه يجب الصبر في هذا السبيل، نلاحظ أن: المسألتين الأُوْلَيَيْنِ العلم والعمل، بهما يُكَمِّلُ المرء نفسه يتعلم ويعمل بما تعلم، وبذلك يُكَمِّلُ نفسه.

والمسألة الثالثة والرابعة بها يُكَمِّلُ غيره، وبتكميل غيره يرتفع هو ويُكَمِّلُ نفسه أكثر، لأن كل من عمل بما عَلَّمَهُ يكون له أجره، فلذلك نحرص على التعليم، لأن التعليم أجره عظيم يبقى لك وتأتيك الأجور وأنت في القبر.

(قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّوْرَةَ لَكَفَتْهُمْ»).

الإمام الشافعي كما تعرفون أحد الأئمة الأربعة، وهو تلميذ الإمام مالك وشيخ الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة (٢٠٤)، ذكر كلامه لبيان أهمية هذه السورة.

طبعاً هي جزءٌ من القرآن فأهميتها من هذا الباب، ولكن لها أهمية بالنظر إلى المسائل التي تضمنتها، وهذا الذي أشار إليه الإمام الشافعي، يقول: («لو ما أنزل الله حجةً على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم»)، لماذا؟ لأنها حوت هذه الأصول الأربعة: التعلم والعمل والدعوة إليه والصبر عليه، هذا في الحقيقة هو خلاصة الدين.

(وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»، وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلِ القِوْلِ وِالعَمَلِ»).

الإمام البخاري من تلاميذ تلاميذ الإمام الشافعي، توفي سنة (٢٥٦)، صاحب الصحيح، يقول: (بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

وهذا الأثر ذكره الإمام محمد لبيان تأكيد هذا الترتيب، وأن هذا الترتيب الذي ورد في السورة لابد

أن نراعيه والترتيب هو الترتيب، فهذا الأثر ذكره لبيان وجوب هذا الترتيب.

مثلاً: لا تبدأ بدعوة الغير وأنت لم تتعلم، لا تبدأ بدعوة الغير وأنت لم تعمل، هذا هو الترتيب الصحيح: تتعلم أولاً، ثم تعمل به حتى لا يكون عملك بجهالة، ثم تدعوا إليه، ثم تصبر على ما تصاب في هذا السبيل، فهذا الأثر ذكره لوجوب هذا الترتيب، يقول: (**بَابُ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ**).

(**وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ﴾**)، أول ما أوجب أوجبَ العلم فاعلم.

(**﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الله﴾**) لا إله إلا الله، هذا هو التوحيد تعلمه، وهذه الشهادة التي بها يدخل العبد في الإسلام.

(**﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾**)، هذا عمل.

إذًا العلم قبل القول والعمل، وهذا الأثر كما قلت: أورده لبيان أهمية هذا الترتيب.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلَ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ.

وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۞ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الثَانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثَالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَسُوْلَ وَوَحَدَ اللهَ لَا يَجُوْزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ.

وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه هي الرسالة الثانية من الرسائل التي ألحقت برسالة "ثلاثة الأصول"، وقد ذكرت سابقًا أن هذه الرسائل ألحقها بعض تلاميذ المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهذه الرسائل هي له.

والذي ألحقها ب "ثلاثة الأصول" قد أحسن صنعًا، لأنها تتعلق به وتعتبر مقدمة وممهدة لتلك الرسالة، وهذه الرسالة هي رسالة توحيد الألوهية والربوبية ومسألة الولاء والبراء، هذه الرسالة فيها بيان توحيد الألوهية والربوبية ومسألة الولاء والبراء.

بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بتوحيد الربوبية، ثم أعقبه بتوحيد الألوهية وختم الرسالة بذكر أهمية الولاء

والبراء على التوحيد الذي ذكره قبل هذه المسألة.

قوله: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ).

هذا من التلطف مع الطالب الذي يريد أن يتعلم علم الكتاب والسنة، وقد ذكرنا أن هذا منهج الشيخ في عموم رسائله وكتبه، يدعوا لمن يتعلم العلم الشرعي.

قوله: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلَ).

في بعض النسخ تعلم هذه الثلاث مسائل، وفي أكثر النسخ تعلم ثلاث هذه المسائل، طبعًا ما في النسخ الأخرى أفصح: تعلم هذه الثلاث مسائل هذا أفصح، يقول: يجب على كل مسلمٍ ومسلمة أن يتعلم هذه المسائل الثلاث.

والوجوب هنا الوجوب العيني، ولذلك أكد وقال: يجب على كل مسلم ومسلمة، لأن المسائل هذه تتعلق بكلمة لا إله إلا الله، وهي تفسير لها وتدور حولها، وكلها تتعلق بالتوحيد ولوازم التوحيد، فيجب على الجميع أن يتعلموا هذه المسائل، لأنها كما قلت: من تمام تفسير لا إله إلا الله.

المسألة الأولى:

(الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ.

وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۞ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦]).

هذه هي المسألة الأولى، وفيها بيان أن الإنسان لم يُخلق إلا لغاية، وهذه مسألة عظيمة أن الإنسان لم يُخلق إلا لغاية لم يخلق سدىً، هملًا، عبثًا ليس له هدف ولا غاية، لا، خلق لغاية، وما هي هذه الغاية؟ هي عبادة الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده دون ما سواه، أما من عبد الله عَزَّوَجَلَّ وعبد غيره فهذا لم يوحد، وهو مشرك في ألوهية الله عَزَّوَجَلَّ.

وبَيَّنَ في هذه المسألة أيضاً كيف يمكنني أن أعرف طرق هذه العبادة، لأن كثيرًا من الناس يعبد الله عَزَّوَجَلَّ ولكنه يحب أن يعبده على طريقته الخاصة، وهذه ليست عبادة هذه قد تكون من الأسباب التي تبعده عن الله عَزَّوَجَلَّ.

فالعبادة معرفتها تكون من طريق واحد فقط، وهذه الطريق هي إتباع الرسل عليهم السلام-، وفيما يتعلق بنا أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالنسبة لنا تكون هذه العبادة بإتباع طريقة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

هذا هو ملخص هذه المسألة والذي يستمع إلى المؤلف، ويقرأ هذه الكليمات القليلة قد لا يعرف قدرها، فلذلك سنذكر نُبذةً عمن يتنكب عن طريق الرسل.

أولئك الذي يريدون أن يصلوا إلى الحقائق، حقائق الكون ولماذا خُلقوا؟ ومن الذي خلقهم؟ ولماذا خلقهم؟ وما هو مصيرهم؟

كما تعرفون هناك شيء اسمه الفلسفة والفلاسفة، وأولئك يبحثون في ثلاث مسائل، الفلسفة كلها عبارة عن الأسئلة الثلاثة والأجوبة عنها، حتى نعرف قدر هذا الذي نقرأه في هذه الكتب، وكيف أن الله عَزَّوَجَلَّ يعطينا هذه الحقائق عن طريق رسله وكتبه، وهذه الحقائق ضلت فيها الأمم، ومن يسمي نفسه حكيماً وفيلسوفاً، نستعرض شيئاً مما يبذلونه في هذه المسائل، كما تعرفون الفلسفة عبارة عن ثلاث أسئلة والإجابة عنها:

السؤال الأول: من أين؟ هكذا يقولون: من أين؟ أي: من الذي خلقك، من الذي أوجدك، من أين جئت وكيف جئت؟.

السؤال الثاني: إلى أين؟ ما هو مصيرك؟ وهل هناك حسابٌ أو كتاب؟ أو هذه الحياة الدنيا هي بدايتك ونهايتك؟ وحياتك انتهت بنهاية هذه الحياة؟

السؤال الثالث: الذي دوخهم، طبعًا كل هذه الأسئلة ولا زالت تدوخهم): لماذا خلقتَ؟ لماذا وجِدْتَ في هذه الحياة؟ وما هو الفرق بينك وبين -أعزكم الله-البهائم؟

هذه هي الأسئلة الثلاثة، من أين؟ إلى أين؟ ولماذا؟

وهم لما يذكرونها يفخمونها وكأنهم قدموا شيئًا للبشرية، والعجيب أنهم إلى الآن لا زالوا يبحثون فيها، لا أحد منهم توصل إلى الإجابة الصحيحة الدقيقة ولا القريبة من الدقيقة، لاحظوا أن الشيخ هنا في هذه الكليمات المختصرة، ذكر لنا الجواب:

من أين؟ الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقنا، وهو الذي أوجدنا، وليس الإيجاد فقط بل هو الذي يمدنا هناك إيجاد وهناك إمداد، بالإمداد تبقى كما يقولون: الإيجاد والإمداد هو الذي يوجدنا، وهو الذي نستمد منه القوة، وهو الذي يرزقنا ولن يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولاً.

من الذي خلقنا ولماذا خلقنا وأين مصيرنا؟ سطرين فيها الإجابة الصحيحة الدقيقة، هذه ترى نعمة عظيمة، والله نعمة عظيمة قد لا نعرف قيمتها، لأننا ولله الحمد لم ندخل معهم في تلك المتاهات.

يقول أحد معروفيهم أحد الملاحدة العرب يقول: «**جئت لا أعلم من أين؟ ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت، وسأبقى سائراً إن شئت هذا أو أبيت، كيف جئت كيف أبصرت طريقي لست أدري؟، وراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشورٌ، فحياةٌ فخلودٌ، أم فناء ودثور؟ أكلام الناس صدقٌ أم كلام الناس زور؟ أصحيحٌ أن بعض الناس يدري لست أدري؟ أتراني قبل ما أصبحت إنسانًا سويًا كنت محواً؟ أم محالاً؟ أم تراني كنت شيئًا؟ ألهذا اللغز حلٌ أم سيبقى أبديًا؟ لست أدري ولماذا لست أدري؟ لست أدري**».

سبحان الله! يتبجح بجهله المركب، الجهل المركب أن يكون الإنسانُ جاهلًا، ويكون جاهلًا لماذا هو جاهل؟ لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، هذه حقيقة أولئك الذين لا يؤمنون بالرسل، ويزعمون أنهم يصلون إلى الحقائق اعتماداً على عقولهم.

أما أولئك الفلاسفة الذين قدَّموا نظرياتهم في هذه الأسئلة الثلاثة، لماذا؟ الجواب عندنا للعبادة، ما عندهم جواب وجوابهم أقرب إلى أن يقولوا: أننا خُلقنا فقط لهذه الحياة، الخلاصة: أننا خلقنا عبثًا.

من أين من الذي أوجدنا؟ أحسن ما نسب إليهم أن الخلق والكون خَلْقُهُ يرجع إلى المبدأ الأول أو إلى العلة الأولى، وأن خالق الكون خَلْقُهُ للكون من قبيل صدور المعلول عن العلة، مثل ما يحصل

الإحراق من النار، والأشعة التي تنبعث من الشمس، وهذا أحسن ما قيل وإلا أكثرهم على أن الكون وجد بالمصادفة، ولا زال يمشي بالمصادفة، هناك جواهر أزلية تجتمع بالمصادفة، فتكون المخلوقات وتفترق فيكون الموت والفناء هذه نظرياتهم.

طبعًا كثيرٌ من الماديين في هذا العصر ردوا على شيوخهم الماديين، وقالوا: هذه النظرية (نظرية المصادفة) من أبعد النظريات فعلاً، مثال هذه النظرية: أن تكتب الحروف في بطاقات (ألف -باء-تاء-ثاء) تكتبها في بطاقات، وتجمعها وتضعها في صندوق ثم تحركها وتريد أن تتركب منها بسم الله الرحمن الرحيم، أيمكن هذا؟

لا يمكن، سبحان الله هذا الكون بالمصادفة وأكبر الفلاسفة وأشهرهم أرسطو يقول: «أن هذا الكون خلقه المبدأ الأول والمبدأ الأول لا يدري عن الكون» لا يدري عنهم، سبحان الله.

هذه أجوبتهم من أين؟ إلى أين؟ عندنا إلى الجنة أو النار.

ذكر المؤلف هنا: (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ)، عندهم لا بعث ولا نشور، هذا ولا زالوا إلى الآن يبحثون في أجوبة هذه المسائل الثلاثة، وللأسف الشديد هذه تُدْرَس وتُدَّرس في مدارسنا، وننظر إليها على أن الفلسفة هذه خلاصة وعُصارة لعلوم الحكماء، هذه خلاصتهم وهذه عُصارتهم، وخذ الأجوبة هذه هكذا من الشيخ محمد بهذه العبارات الثلاث:

قوله: (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً)، أي: سدىً وعبثًا لم يتركنا هملًا بل خلقنا لهدف ما هو الهدف؟، وكيف يعرف؟ وكيف يتحقق؟

(بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَارَ، وَالدَلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا)، هذا الرسول هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن الخطاب لأمته.

(﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾)، أي: بأعمالكم.

(﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾)، الله عَزَّوَجَلَّ أرسل إلى الأمم كلهم رسلًا وهنا لم يذكر إلا موسى عليه السلام-الذي أرسل إلى فرعون، لأن هذا فيه التهديد ضمنًا، تهديد وتخويف وتذكير لهذه الأمة:

(﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾) نحن أرسلنا إليه أيضاً رسولاً، ما الذي كان منه؟ (﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ﴾).

فرعون ذلك الذي ادعى الألوهية، وذلك الذي مُكن من وسائل الكون في ذلك الوقت ما لم يمكن منه أحد ولذلك ادعى: أنا ربكم الأعلى.

(﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾)، أي: شديدًا، الله عَزَّوَجَلَّ ذكرهم بهذا النبي الكريم وهو موسى-عليه السلام-، وذكرهم بمن أرسل إليه هذا النبي الكريم وهو فرعون الذي يدعي الألوهية، وذكرهم أيضاً بمصير فرعون، وهذا كما قلت: فيه تهديد، من عصى الرسول منكم فليس أقوى من فرعون، وهذه هي سنة الله عَزَّوَجَلَّ فيمن يكذب ويعصي الرسل: (﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾).

خلاصة هذه المسألة أن الإنسان لم يُخلق إلا لغاية، وهذه الغاية هي عبادة الله وحده دون ما سواه، وكيف تعرف هذه الطريق؟ أو كيف تعرف العبادة؟ عن طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول الإمام بن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو يشرح هذه المسألة:

فلواحدٍ كن وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أعنى سَبِيل الْحق والإيمان

(فلواحدٍ) أي: للواحد وهو الله عَزَّوَجَلَّ، كن واحدًا في قصدك وعبادتك، كن واحدًا في قصدك لا تقصد أحدٍ سواه، فلن ينفعك أحدٌ سواه، لا تشرك معه أحد.

(**في واحدٍ**) أي: في طريق واحد، ثم فسر الواحد الأخير فسره بقوله: أعنى سَبِيل الْحق والإيمان، (فلواحدٍ) أي لله، (كن واحدًا) في قصدك وعملك.

(**في واحدٍ**) أي: في طريقتك في إتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعنى سبيل الحق والإيمان، هذه هي المسألة الأولى.

المسألة الثانية:

وهذه المسألة فيها من الذي خلقك؟ ومن الذي يرزقك؟ وهذه المسائل ترجع إلى ماذا؟ إلى توحيد

الربوبية.

بما أن هذه المسائل هي الغالبة سمينا المسألة الأولى أنها في توحيد الربوبية، وكما تعرفون أن العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة استلزام وتَضَمُّنٌ، العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقةُ تَضَمُّنٌ واستلزام.

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، بما أنك اعترفت وتيقنت وعلمت أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقك وهو الذي يرزقك وهو الذي يدبر أمورك، فيلزمك ويجب عليك أن تفرده بالعبادة، وهذا هو الذي عبرنا عنه بالاستلزام، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فلذلك الله عَزَّوَجَلَّ يذكر في القرآن توحيد الربوبية ليستدل به لإثبات توحيد الألوهية: ﴿**ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**﴾، وهذا كثير في القرآن.

المؤلف أول ما ذكر ذكرَ توحيد الربوبية، فتوحيد الربوبية يدخل فيه أيضًا إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك هذا هو الترتيب الطبيعي، لمَّا تذكر أنواع التوحيد أول ما تذكر توحيد الربوبية، ثم تذكر توحيد الألوهية وهكذا فعل المؤلف هنا.

المسألة الثانية أو الرسالة الثانية في توحيد الألوهية، لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، فلذلك من كان موحدًا توحيد الألوهية، فهو لا محالة موحد توحيد الربوبية وليس العكس، من كان موحداً توحيد الربوبية قد يكون مشركًا في الألوهية كما هو حال المشركين، فلذلك ذكر المؤلف هنا توحيد

الألوهية وأخره.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنَّ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**).

هنا يريد المؤلف أن يقول: أن أحداً غير الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكنه أن يصل إلى درجة الألوهية،

فلما قال: لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، هذا كافي ولكنه ذكر الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، وخصهم بالذكر لأن بعض الناس قد يظن أنهم لقربهم من الله عَزَّوَجَلَّ، قد يكونون وصلوا إلى درجة يستحق فيها الألوهية، أو أن تصرف لهم بعض أنواع العبادة كما هو حال الكثير من المشركين،

يعبدون الملائكة ويعبدون الأنبياء والرسل بل يعبدون الجن، ويعبدون الأشجار والأحجار، والمؤلف هنا اكتفى بذكر الملائكة والأنبياء والمرسلين لبيان أن أحداً ليس مستثنى من هذه القاعدة.

(**والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾**)، المساجد تبنى لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ فقط، (**﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾** [الجن: ١٨])، أحداً هذه نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام تكون عامة، (**﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾**) لا أحد يقول: أن فلاناً مستثنىٰ (**﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾**)، والدعاء هنا يشمل نوعي الدعاء، والدعاء ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: دعاء العبادة.

والثاني: دعاء المسألة.

ودعاء المسألة: هو الدعاء الذي يكون فيه طلب، ونحن لما نقول: دعاء ففي الأغلب نعني هذا النوع دعاء المسألة، أيضاً النوع الثاني هو دعاء العبادة، لأن العبادة هي أيضاً والدعاء عبادة، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: (**﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**[غافر:٦٠]).

(**﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾**[غافر:٦٠]) تأتي بمعنى اسألوني وبمعنى اعبدوني.

وفي قوله: (**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾**[غافر:٦٠]) أُطلقت العبادة على ماذا؟ على الدعاء، في بداية الآية ادعوني وفي نهاية الآية عن عبادتي.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فسره السلف بتفسيرين:

التفسير الأول: أعطيكم سؤلكم.

والتفسير الثاني: أثيبكم على عبادتكم.

إذًا: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾**، ذكر المؤلف هذه الآية واكتفى بها لأنها تشمل جميع أنواع العبادة، فيها عموم في العبادة وفيها عموم في المعبود، لا تعبدوا أحداً، ولا تتقربوا بشيء مما يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلى أحد سواه، هذه هي المسألة الثانية.

المسألة الثالثة:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَسُوْلَ وَوَحَدَ اللهَ لَا يَجُوْزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ).

هذه المسألة هي من لوازم التوحيد، فإذا كنت موحداً توحيد الربوبية والإلهية، فإنك لابد أن تُحب هذه الكلمة لا إله إلا الله، ولابد أن تُحب أهلها، ولابد أيضاً أن توالي عليها، من يحبها تحبه ومن لا يحبها لا تحبه وهذا هو الولاء والبراء.

يكون ولاءك على هذه الكلمة لله عَزَّوَجَلَّ، وتتبرأ ممن ليس من أهل هذه الكلمة، الولاء والبراء، وهذه المسألة من مكملات المسألتين الأوليين، يقول: (أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَسُوْلَ وَوَحَدَ اللهَ لَا يَجُوْزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والدليل قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ﴾).

أي: يوالون ويحبون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿مَنْ حَادَّ اللهَ﴾)؛ أي: من عاداه.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾).

وهؤلاء هم أصولك أو فروعك وهم أقرب الناس إليك، ثم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أن هذا الذي يوالي وولائه وبراءه في الله عَزَّوَجَلَّ ذكر أن له ستة أمور، ذكر جزاءه هنا بهذا التفصيل:

أولاً: (﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾) (﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾) أي: جمعه وثبته، هذا الأمر الأول الذي يجازى به من يوالي ويعادي في الله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيًا: (﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾)، (بِرُوحٍ مِنْهُ) أي: بوحيه ومدده وإحسانه وتأييده بالنور والهدى.

ثالثًا: (﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾).

رابعًا: (﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾)، هذا الجزاء الرابع وما أعظمه رضى الله عَزَّوَجَلَّ عن هذا العبد.

خامسًا: (﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾). هم سيرضون عن الله عَزَّوَجَلَّ، ورضاهم عنه يوم القيامة.

سادسًا: (﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢]).

هذا إكرام خاص لهم بأن جعلهم من خاصته وجعلهم من حزبه المفلحين، (﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ﴾) وكثير من الناس يسمي نفسه أنه حزب الله، وفلان الله، وفلان الله، وقد لا يكون من أولئك من هم حزب الله، وهذه المسائل الثلاث في المسألة الرابعة فيها شيء من التفصيل، نذكرها باختصار شديد.

مسألة الولاء والبراء الآيات والأحاديث التي وردت في هذه المسألة تدل على أن الموالاة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التولي وهو كفر.

القسم الثاني: الموالاة وهي حرام ومعصية ولكنها لا تخرج من الملة.

هذا التفصيل لابد منه، لأن بعض الناس يستدل بهذه النصوص، ولا يفرق بين الموالاة والتولي ويخرج كثيراً من المسلمين من دائرة الإسلام.

والآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب كما قلت، يؤخذ منها أن هناك تولي وهو كفر مخرج من الملة، وموالاة وهي حرام ومعصية وهي خطيرة جدا قد تكون طريقًا إلى التولي ولكنها لا تخرج من الملة.

التولي هذا يؤخذ من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ومعنى التولي هنا هو محبة الشرك وأهل الشرك ومحبة الكفر وأهل الكفر لأجل كفرهم، ونصرة الكفار على المسلمين بهدف إظهار الكفر والشرك، أي يقصد ظهور الكفر على الإسلام، نصرتهم هذا هو الهدف فهذا هو التولي، وهذا كفر مخرج من الملة.

القسم الثاني: الموالاة، الموالاة والتولي كلاهما فيهما محبة الكفار، ولكن محبة المشركين والكفار هنا في الموالاة لأجل دنياهم، أو لأنهم من قرابتهم ولأجل مصلحة دنيوية، لا ترجع إلى قصد إظهار الكفر ومناصرة الكفار لأجل إظهار الكفر والشرك.

وهذا كما قلت: معصية وحرام ولكنه لا يخرج من الملة، ومن الأدلة على أن الموالاة لا تخرج من

الملة قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فالله عَزَّوَجَلَّ خاطبهم بالإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فأثبت في الآية أنه قد حصل ممن ناداهم محبتهم وتوليهم وموالاتهم للكفار، ومع ذلك هم لا زالوا مؤمنين، وكما قلت في هذه الآية بَيَّنَ الله عَزَّوَجَلَّ أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان، حصل منهم إلقاء المودة للكفار، وحصل منهم محبتهم وموالاتهم مع ذلك ناداهم باسم الإيمان، لأنهم لم يخرجوا من دائرة الإيمان.

أيضًا من الأدلة قول حاطب ابن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما أرسل إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، أرسل إليهم خطاباً وأعطاه امرأة توصل الخطاب إليهم، فقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا رسول الله، والله ما حملني على هذا محبة الشرك وكراهية الْإِسْلَامَ**».

إذًا فِعْلُهُ هذا كان لمصلحة هو ذكرها رضي الله عنه وصدقه عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا هناك موالاة وهناك تولي، وهذه أيها الأخوة من المسائل التي يكثر التشويش فيها من بعض الغلاة الذين تكون موالاتهم للكفار قليلة، ولكن أكثروا من براءتهم من المسلمين.

فيقولون: هذا مشرك وهذا كافر، كأن دائرة الإسلام لا تسعهم، عندهم غلو من قبيل الغلو الذي نجده عند الخوارج والمعتزلة، فلذلك أيُّ موالاة يخرجون بها من الملة وهذا من الغلو.

والإفراط والتفريط كلاهما خطيران وأخطرهما الغلو، لأن الغلو عادةً غالبًا يكون ممن

ظاهره الاستقامة، فالناس يتأسون به أكثر، أما التفريط فيكون ممن ظاهره عدم الاستقامة، فتأثيره يكون قليلاً، فلابد أن نضبط هذه المسألة على النحو الذي ذكرته، والأدلة فيها كثيرة جداً ولكني لضيق الوقت ذكرت هذه الأدلة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَةَ إِبْرَاهِيْمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيْعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَى يَعْبُدُوْنِ: يُوَحِّدُوْنِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَوْحِيْدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦].

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه الرسالة الأخيرة من الرسائل الثلاث التي ألحقت برسالة (**ثلاثة الأصول**)، ذكرنا مراراً أن هذه الرسائل الثلاث هي ملحقة برسالة (ثلاثة الأصول)، ورسالة "ثلاثة الأصول" لم تبدأ إلى الآن.

وهذه الرسالة الأخيرة الملحقة بها وكما رأينا مختصرة جدًا في نصف صفحة، وكان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يؤلف الكتب والرسائل حسب الحاجة، أحيانًا يؤلف رسالة في صفحة، ورسالة في نصف صفحة، ورسالة في صفحتين، في ثلاث صفحات، ومع ذلك رسائله كلها محفوظة ومخدومة ولله الحمد.

هذه الرسالة هي في بيان التوحيد وضده، يُبَيِّن ويوضح فيها الإمام محمد بن عبد الوهاب أساس هذا الدين، ما هو أساس هذا الدين؟

بناء هذا الدين بل الأديان كلها، هو الإسلام وهو دين الأنبياء كلهم.

بناءه على ماذا؟ يُبَيِّنُ فيها أن بناءه على التوحيد، وبالتالي فالتوحيد أعظمُ مأمور به في الإسلام.

فإذا سئلت وقيل لك: ما هو أساس هذا الدين؟ تقول: التوحيد.

وإذا سئلت وقيل لك: ما هو أعظم مأمور به في هذا الدين؟ تقول: التوحيد.

وبالتالي ستسهل لك الإجابة عن السؤال فيما إذا قيل لك: ما هو أعظم منهي عنه في هذا الدين؟ هو ذلك الذي يكون ضد التوحيد وهو الشرك.

في هذه الرسالة إجابة عن هذين السؤالين، أعظم مأمورٍ به في هذا الدين؟ وأعظم ما نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه في هذا الدين؟.

ترى ما هي أهمية هذين السؤالين؟ أهمية هذين السؤالين: أن تعرف من أين تبدأ، فكثيرٌ من الناس يأتي إلى التوحيد إن جاء إليه آخر ما يأتي إليه، فيهتم بالأخلاق، ويهتم بالسلوك، ويهتم بالمعاملات، ويهتم بما يراه أصول وأساسيات، أما بالنسبة للتوحيد فيقول لك: هذا يُفَرِّقُ فلا تهتم به كثيرًا لأنه يُفَرِّقُ، ما دمنا مُسْلِمِينَ فلا نريد أن نُفَرِّقَ.

لاشك أننا لا نريد أن نُفَرِّقَ ولكن لابد أن نعرف الأساس، لابد أن نعرف ما هو الأساس والأصل؟ وما هو ضده؟ حتى نعرف أن نرتب الأركان والأصول والواجبات والفروق.

إذاً الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ أَلَّفَ لك رسالة في نصف صفحة فيها إجابة عن هذين السؤالين.

قوله: (**اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ-**)، طبعاً عرفنا من منهجه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه دائماً يتلطف لطلاب العلم، ويرغبهم ويدعوا لهم، وهذا الدعاء (**أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ**) يجمع الخير كله، وهذا هو التوفيق كله أن ترشد إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ونسأل الله أن نكون كذلك.

يقول: (**أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ -مِلَةَ إِبْرَاهِيْمَ-: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ**)، بدأ من إبراهيم- عليه السلام- لأنه:

أولاً: أبو الأنبياء، فكل مَنْ كان نبياً أو رسولاً بعده فهو من ذريته.

ثانيًا: هو إمام الحنفاء.

ثالثًا: هو ذلك الرسول الذي خُص بالخُلة.

والخُلة: هي أعلى مراتب المحبة، لا يشركه فيها إلا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلذلك يقال: أفضل

الأنبياء والرسل هم أولي العزم وهم خمسة، وأفضلهم الخليلان، وأفضلهما نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حتى مشركوا قريش كانوا ينتسبون إليه، كل من جاء بعده سواءٌ كان يهوديًا أو نصرانيًا فكلهم يتنازعونه، كلهم يظنون ويزعمون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام-.

فيقول: اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم أساسها: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، على هذا أساس دين إبراهيم وملة إبراهيم، والحنيفية مأخوذة من الحَنَفْ، والحنيف مأخوذ من الحنف وهو الميل، وإبراهيم عليه السلام وصف بأنه كان حنيفًا قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[النحل: ١٢٠]، في آية واحدة وصِفَ بأربعة أوصاف:

﴿كَانَ أُمَّةً﴾، والأمة من حيث المجموع يجتمع فيها أنواع الخير كله، أمة محمد هناك من هو مبرز في هذا الميدان، وهناك من هو مبرز في ذلك الميدان، كلٌ ميسر لما خُلق له.

وسمي إبراهيم أمة لأنه اجتمعت فيه ما تفرقت في غيره كأنه أمة، لأن الأوصاف التي تكون في الأمة من حيث المجموع اجتمعت فيه، فاجتمعت فيه ما تفرقت في غيره ولذلك سمي أمة.

﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾، دائم التعبد لله عَزَّوَجَلَّ، ليس ممن يتعبد أحيانًا وينقطع أحيانًا قانتًا لله، والقنوت هو التعبد الدائم.

﴿حَنِيفًا﴾، أي: مائلًا من الشرك إلى التوحيد، دائمًا وهذا هو وصفه حنيف.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وهذا تأكيد له، وإلا هذا مفهوم من قوله حنيفًا، فهذا تأكيد وأيضًا تعريض بالمشركين، أنتم مشركون وتنتسبون إليه ولم يكن هو من المشركين ولستم على ملته.

أيضًا إبراهيم عليه السلام لماذا اشتهر بإمام الحنفاء؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ ابتلاه بأنواع من الابتلاءات التي تندر في الأنبياء الآخرين، والله عَزَّوَجَلَّ أخبر أنه أتمها سبحان الله (هـ)

ولم يقل: ما نجح فيها، بل قال: فأتمهن، سبحان الله هذه التزكية من الله عَزَّوَجَلَّ أنه أتم ما طُلب منه، من ذلك أنه طُلب منه أن يذبح ولده، ومن ذلك أنه طُلب منه أن يترك أولاده في واد غير ذي زرع، ومن ذلك طُلب منه أن يذهب إلى هنا إلى هناك، وأن يحارب قومه كلهم ومنهم والده وفي الأخير: فأتمهن

فهو إمام الحنفاء، والله ﷻ جزاه بأمور كثيرة لا تعد ولا تحصى:

منها: أن بيت الله كل من يصلي فيه وكل من يتوجه إليه فله نصيب لأنه هو الذي بناه.

ومنها: أن ما فعله وكانت آثاره هناك صارت مناسك إلى يوم القيامة.

ومنها: أن الأنبياء بعده كلهم من ذريته.

ومنها: أنه إمام الحنفاء.

ففي هذا أن ملة التوحيد وهي ملة الأنبياء أساسها على التوحيد، فلا يدعي أحد أنه على ملة إبراهيم ولا يكون موحداً خالصاً.

قوله رحمه الله: (**وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيْعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[الذاريات: ٥٦]، **وَمَعْنَى «يَعْبُدُوْنِ»: يُوَحِّدُوْنِ**).

إذاً الغاية التي لأجلها خلق الله ﷻ الخلق كلهم هي: العبادة.

وسبق أن ذكرنا أن العبادة هي: كل ما يتقرب به إلى الله ﷻ من الأقوال والأفعال والأعمال، كل ما يتقرب به إلى الله ﷻ فهي عبادة.

اللام هنا في (﴿**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾) لام الحكمة، والحكمة من خلق الإنس والجن أن يفردوا الله ﷻ بالعبادة، هذه هي الحكمة وهذه هي الغاية التي خلقوا لأجلها، والله ﷻ حصر غاية خلقهم في هذا الأمر بهذا الأسلوب: (﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات: ٥٦]) «**ما** » نافية، وهنا هذا الأسلوب " **ما** "و" **إلا** " هذا يكون فيه الحصر والقصر.

قوله: (**وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَوْحِيْدُ**)، لماذا؟ لأنه هو الأساس، وما دام هو الأساس فهو أعظم أمر أُمرنا به، وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كلام طويل له أن القرآن كله توحيد، ويدور حول التوحيد.

قوله: (**وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ**)، الشيخ محمد هنا عرَّف التوحيد بأحد أنواع التوحيد وهو توحيد الإلوهية، وكما ذكرنا سابقاً أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهنا عرفه بأحد أنواع التوحيد،

والتعريف العام للتوحيد أن يقال:

التوحيد: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به من الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات، وتعريف الشيخ له مغزى، الشيخ في غالب كتبه يعرف التوحيد بهذا النوع من أنواع التوحيد لأنه بهذا يشير إلى العلاقة بين أنواع التوحيد التي ذكرناها سابقًا، العلاقة بين أنواع التوحيد علاقة تضمن واستلزام، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية، وتوحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لأن الذي يعبد الله ﷻ ويفرده بالعبادة لماذا يفرده بالعبادة؟

لأنه يؤمن أن من يستحق الأسماء والصفات التي ذكرها الله ﷻ لنفسه، ويختص بها هو الله ﷻ، فهو الرب وهو السميع وهو البصير وهو الحي وهو العليم وهو القدير، فيحبه لهذه الأسماء والصفات، وأيضًا يعلم أن الله ﷻ هو الذي خلقه، وهو الذي يمده بما يبقى به، وهو الذي سيميته، وهو الذي يدبر أمره لذلك يوحده، فمن كان موحدًا توحيد الإلوهية فهو موحدٌ ولا شك توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

فذلك هو يشير إلى هذه النقطة وإلا كما ذكرت توحيد الله ﷻ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

كل ما يرجع إلى أفعال الله ﷻ من الخلق والتدبير والإماتة والإحياء والرَزْقِ والتصرف والملك، كل ما يرجع إلى هذه المعاني فهذا يدخل في توحيد الربوبية، فتوحيد الربوبية هو إفراد الله ﷻ بأفعاله، وتوحيد الإلوهية هو إفراد الله ﷻ بأفعالنا نحن.

وقوله: (**وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ**).

ما دام أن أعظم ما أُمرنا به هو التوحيد فضده يكون أعظم ما نهينا عنه، (**وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ**)، أي: عبادة غيره معه، فالمشرك يعبد الله ﷻ ومع ذلك يسمى مشركًا، والمشرك يعبد الله ﷻ ويحب الله ﷻ ويتقرب إليه بأنواع من القربات إلا أنه لا يفرده بل يشرك معه غيره زعمًا منه أن أولئك يقربونه إلى الله ﷻ ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ**

زُلْفَى﴾[الزمر: ٣]، هكذا يظن وبذلك يقعُ في الشرك، لأن طلبك من هذا الغير ومن هذا المقبور أن يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ هذا شرك، فهذا الطلب لا يكون إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، إذاً (**وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ**).

الشرك هو من أكبر الكبائر بل هو أكبر الكبائر، كما ورد في الحديث بهذا النص: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله** عَزَّوَجَلَّ»، والشرك ينفرد عن الكبائر الأخرى بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن المشرك لا يُغفر له إن لم يتب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] هذا فيمن لم يتب، أما من تاب فإن الله عَزَّوَجَلَّ يتوب على من تاب، والتوبة لا استثناء فيها فالمشرك لا يغفر له، أما من لم يقع في الشرك وتوفي من غير توبة فهو في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه بقدر معاصيه، ثم مآله إلى الجنة.

الأمر الثاني: أنه يحبط جميع الأعمال قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، لماذا؟ لأنه ليس مبنيًا على التوحيد، والأعمال إذا لم تكن مبنية على التوحيد فلا عبرة بها في الشرع، ومن كان موحداً ووقع في الشرك الأكبر فإنه

يحبط جميع الأعمال.

الأمر الثالث: أنه موجب للخلود في النار لمن مات عليه ولم يتب منه، سُئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**».

قوله: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾**[النساء: ٣٦]).

طبعاً هذا المنهج نحن عرفناه من الشيخ كل ما يذكره له دليل، (وَاعْبُدُوا اللهَ) والله عَزَّوَجَلَّ ذكر أن الغاية من خلق الخلق هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وذكر أن جميع الرسل أرسلوا للدعوة إليه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، وهنا: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]، شيئًا هذا فيه عموم لا

يستثنى منه شيء، كلمة شيء من كلمات العموم، بل العموم الذي في هذه الكلمة أعم من العموم، كلمة شيء لا استثناء فيها، ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]، إلى هنا انتهت الرسائل الثلاث التي ألحقت ب "ثلاثة الأصول".

الرسالة الأولى: بَيَّنَ الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: العلم، والعمل، والدعوة إليه، والصبر على ما ينالك في الدعوة.

الرسالة الثانية: بَيَّن توحيد الربوبية أولًا، ثم توحيد الإلوهية، ثم مسألة الولاء والبراء التي لها تعلق بالتوحيد.

الرسالة الثالثة: بيَّن مسألتين: أعظم مأمور به وهو التوحيد، وأعظم منهي عنه وهو الشرك.

الآن تبدأ رسالة "ثلاثة الأصول".

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُوْلُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه الرسالة رتبها الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ بطريقة السؤال والجواب، لأنه يكون أنسب للحفظ وللفت النظر، لأن السؤال يُلفتُ النظر أكثر.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُوْلُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

هذه هي المسائل الثلاث التي لأجلها أَلَّفَ هذه الرسالة، وهذه المسائل الثلاث هي مسائل القبر، هي التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ هذه هي الأسئلة الثلاثة، وهي التي وردت مجتمعة في حديث واحد، حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولا**»، وهذه المسائل يمكن أن نعبر عنها ونقول: معرفة المُرْسِلِ ومعرفة المُرْسَلِ ومعرفة الرسالة، وهذه المسائل الثلاث ممكن أيضًا أن نعبر عنها لسهولة الحفظ، (معرفة المُرْسِلِ) من الذي أرسل؟ الله عَزَّوَجَلَّ وهذا هو معرفة الرب ومعرفة المعبود، و(معرفة المُرْسَلِ) وهو معرفة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه هو المرسل إلينا، و(معرفة الرسالة) وهي الدين، يعني أرسله بماذا؟ أرسله بالدين.

ومعرفة هذه الأمور الثلاثة كلها تكون بالأدلة، فلذلك سيذكر الشيخ مع وجازة هذه الرسالة ومع كونها مختصرة إلا أنه سيلتزم بذكر الدليل لكل ما يذكره.

قوله: (مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ)، لم يقل: علم العبد بربه، لأن المعرفة هي الأنسب بالنسبة للإنسان، ولأن المعرفة هي بمعنى العلم، ولكن الفرق بين العلم والمعرفة هو أن العلم لا يلزم أن يُسبق بالجهل،

ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ يوصف بالعلم ولا يوصف بالمعرفة، والمعرفة تكون مسبوقة بالجهل.

ونحن نتعلم وبالتعلم نحصل العلم ولاشك أنه يسبقه الجهل، فالمعرفة لا تستعمل في حق الله عَزَّوَجَلَّ، وهي أليق بالنسبة للمخلوق، وقد يكون الشيخ محمد استعمل المعرفة بدل العلم لأجل هذا الفرق والله أعلم.

يقول: (**مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَهُ مُحَمَدَاً صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**).

ذكر بعض من شرح هذه الرسالة المباركة أن الرب هنا بمعنى الإله، واستشهد بكلام للإمام محمد نفسه.

طبعًا هناك فرق بين الربوبية والإلوهية عرفناه، والربوبية إليها ترجع معاني الملك والتصرف والتدبير كلها، أما الإلوهية فهي بمعنى العبادة، والإلوهية والإلهة بمعنى العبادة وبين الربوبية والألوهية فرق، وهذا الفرق كان معروفًا عند المشركين، وكثير ممن يكتب في العقيدة في هذا العصر وقبل هذا العصر، ممن كانوا يردون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقبله على شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ممن يفصل هذا التفصيل، يرون أنه لا فرق بين الربوبية والإلوهية وهذا شيء غريب، سبحان الله يقولون: لا فرق بين الربوبية والإلوهية، مع أن الفرق بين الربوبية والإلوهية لغةً وشرعًا هكذا في النصوص، وكان هذا معروفًا حتى عند المشركين، فالمشركون الذين كانوا يفردون الله عَزَّوَجَلَّ بالربوبية قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان: ٢٥].

إذاً الخلق والتدبير والتصرف ينسبونه إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقط، ولكنهم لما يأتون إلى الإلوهية يقولون كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥]، يقولون: نحن لابد أن نعبد جميع الآلهة والعبادة ليست خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ، فكانوا يستنكرون أجعل الآلهة وهم كُثر، اختصرها في إله واحد: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، في الربوبية يرجعونها إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقط، وفي الإلوهية وفي العبادة يعبدون هؤلاء مع الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، والمسألة واضحة جداً ومع ذلك بعض من يكتب ويرد على هذه الدعوة تجده يُلَبِّسْ بهذه الطريقة،

ويقول: لا فرق بين الربوبية والإلوهية.

وهناك فرق بينهما ولكن إذا أُفردت الربوبية قد تتضمن أيضاً الإلوهية، وإذا أفردت الإلوهية هي أصلاً تتضمن الربوبية من هذا الوجه، لأنه كما ذكرنا الربوبية تستلزم الإلوهية فمن هذا الوجه قد يكون هذان اللفظان مثل لفظ الإيمان والإسلام، إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا، فإذا ذكر الإسلام لوحده شمل الإيمان أيضاً، وإذا ذكر الإيمان لوحده شمل الإسلام أيضاً، ولكن إذا ذكرا معاً فالإسلام له معنى والإيمان له معنى وهكذا.

فيقول: (**مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ**) أي: ربه ومعبوده، لأن بمعرفة العبد ربه فقط هذا يشترك معك كفار قريش، فكفار قريش يعرفون الرب ويفردونه أيضاً بالربوبية، «**ودينه ونبيه محمدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ».

هذه المسائل الثلاث التي لأجلها هذه الرسالة «**ثلاثة الأصول**»، وهذه الأصول معرفة المُرْسِلِ ومعرفة المُرْسَلِ ومعرفة الرسالة التي أَرْسَلَ بها محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الرسالة هي دينه دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وَكُلُ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ)، هنا دخل في التفاصيل وفي الأول أجمل.

يقول: (مَنْ رَبُّكَ؟)، وهذا هو السؤال الأول الذي يواجه به العبد في القبر، فإذا كانت إجابته صحيحة وسليمة فتكون إجاباته الأخرى أيضاً صحيحة، وإذا تعثر هنا فلن يجيب عن الأسئلة الأخرى، فلذلك هذا الأصل هو الأساس وعليه تنبني الأصول الأخرى، لأنك إذا عرفت ربك ومعبودك، وظننت أن الرب بمعنى المعبود، واعتقدت أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقك، وهو الذي يدبر أمورك فإنك بهذا دخلت في الإسلام.

وأما هذا المقصر الذي وقف حيث وقف عنده المشركون، لم يدخل في التوحيد بكامله ولن يكون موحداً إلا بإفراد الله عَزَّوَجَلَّ بجميع أنواع العبادة.

قوله: («فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾).

السؤال والجواب كلاهما ليس فيهما ذاك الإشكال، الذي كنا ذكرناه الذي عند الفلاسفة من أين؟ إلى أين؟ ولماذا؟ وذكرت لكم أنهم إلى الآن لازالوا يبحثون، وعتاتهم وكبارهم الذين ضيعوا أعمارهم توفوا وهم يبحثون ولم يصلوا إلى شيء من اليقين، فهنا السؤال واضح، «**ربي الله الذي رباني**»، من الذي يربيني؟ من الذي يرزقني؟ من الذي خلقني؟ هو الله عَزَّوَجَلَّ، «**وربا جميع العالمين**»، يربينا «**بنعمه، وهو معبودي**» بما أنه ربي فهو الذي سأعبده وسأفرده بالعبادة، ليس لي معبودٌ سواه، **والدليل قوله تعالى**:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذه الجملة التي نقرأها في كل ركعة من صلواتنا تجمع فيها أنواعاً من العبودية.

«**الحمد**» الألف هنا للاستغراق، والألف كما تعرفون تأتي للعهد الذهني وتأتي للاستغراق، ولكنها هنا للاستغراق، ومعنى كونها هنا للاستغراق هو أن المحامد كلها لا يستحقها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا معنى كون الألف للاستغراق.

والحمد: هو الثناء على المعبود مع حبه وتعظيمه والتذلل له، إذاً كل ما هو من أوصاف الكمال والمحامد فهي لله عَزَّوَجَلَّ فقط لا يشركه فيها أحد.

والحمد والشكر : متقاربان في المعنى ولكن هناك فرق بينهما، فالحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، كما نثني على الله ﷻ، سواء كان عن إحسان أو بغيره، فالله ﷻ يستحق المحامد لنعمه وأيضاً لأسمائه وصفاته، فجميع النعم من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[النحل: ٥٣].

وأيضاً من يستحق الأوصاف والصفات الكاملة هو الله ﷻ، والشكر لا يكون إلا عن إحسان المشكور، فتشكره لأنه أحسن إليك؛ ولكن الحمد يكون باللسان فقط والشكر يكون باللسان والقول والفعل، باللسان عملاً وقولاً وبالقلب.

يقول أحد الشعراء:

أفادتكم النعماء مني ثلاثةٌ يديَّ ولساني والضمير المحجبا

إذاً فالشكر يكون بالقلب وباللسان وبالعمل أما الحمد فيكون باللسان فقط، والحمد أعم من جهة نفسه فيكون عن إحسان أو عن غير إحسان، والشكر لا يكون إلا عن إحسان.

«لله» اللام هنا للاستحقاق، واللام أحياناً تكون للتمليك إذا ذكر قبلها عين من الأعيان، مثلاً تقول: الدار لفلان، فهذا عين فتكون للتمليك، وإذا كان ما ذكر قبلها معنى من المعاني فتكون للاستحقاق، مثلاً تقول: الفخر لفلان، فهو لا يملكه ولكنه يستحقه فاللام هنا للاستحقاق، إذاً جميع المحامد لا يستحقها

إلا الله- .

«**رب العالمين**» ذكر هنا بعض الأوصاف التي لأجلها يستحق المحامد كلها، وهذا الذي ذكر أنه «**رب العالمين**» يرب العالمين، والتربية دائمًا فيها معنى التدرج في مصاعد الكمال، وأنت لما تربي ولدك تتدرج به إلى الكمالات، والكمالات متنوعة كل بحسبها، فهناك تربية الأجسام وهناك تربية الغرائز وهناك تربية الفكر وهناك تربية العقل، وكلها تدخل في معنى رب العالمين، فالله عَزَّوَجَلَّ يربي عباده وينعم عليهم بجميع هذه الأنواع، ومن أنواع التربية أن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل إليهم رسلاً وأنزل لهم كتبًا، حتى يكونوا على الصراط المستقيم، وهذا نوع من أنواع التربية.

(**وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ**) طبعًا العوالم كثيرة عالم الإنسان، عالم الطير، عالم الملائكة، عالم النبات، العوالم كثيرة ومنها عالم الإنسان.

(**وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ**) أنا من عالم الإنسان وواحد من ذلك العالم، فرب العالمين تربيته وربوبيته تعم جميع العالمين ومنهم أنا، بما أنه هو رب العالمين فهو معبودي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَكَ؟

فَقُلْ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوْقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَاضُوْنَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَبُ هُوَ الْمَعْبُوْدُ وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن الأصول الثلاثة التي يجب تعلمها هي معرفة الرب سبحانه والدين والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقلنا إن خلاصتها معرفة المُرسِل والمُرسَل والرسالة.

وذكر في البداية السؤال الأول: (من ربك؟) وذكر جوابه، وفي هذا الدرس يقول: فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، إذا سُألت كيف عرفت ربك؟ وبماذا عرفت ربك؟ معرفة الله ومعرفة الرب عَزَّوَجَلَّ فطرية، وهذه المعرفة يسميها أهل السنة والجماعة (فطرية المعرفة) أي معرفة الله عَزَّوَجَلَّ هي فطرية.

ومعنى كونها فطرية أن الناس مفطورون على معرفة الرب سبحانه، وهذا من حيث الجملة، وفطر

الناس فيها معرفة الله ﷻ ، وتأتي الرسل لتعرف الناس بالله ﷻ بالتفصيل، أما معرفة الرب من حيث الإجمال هذا موجود مركوز في الفطر.

وهناك أيضًا أدلة لمعرفة الله ﷻ هذه أدلة شرعية وعقلية والشيخ محمد هنا بدأ بالأدلة العقلية وهذه الأدلة العقلية أيضًا متنوعة فمنها ما تتعلق بالآفاق ومنها ما تتعلق بالأنفس، الأنفس البشرية نفسها. الأدلة التي بدأها هي أدلة الآفاق، ما حولك كله يدل على وجود الله ﷻ وعلى ربوبيته، كما أن نفسك والنظر فيها هذا يدلك على وجود الله ﷻ وعلى ربوبيته ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥]، هذا كله يؤديك ويدلك على الرب سبحانه وبالتالي يلزمك أن توحده وتفرده بالعبادة.

بما عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته. ذكر هنا أمرين: الآيات والمخلوقات، مع أن هذه المذكورات التي ذكرها هنا الليل والنهار والشمس والقمر وكذلك السماوات والسبع والأرضون السبع هذه كلها مخلوقاته سبحانه، هذه كلها مخلوقاته وهي أيضًا آياته.

والآيات هي العلامات التي تدل على وحدانيته ووجوده وتفرده بالربوبية والإلوهية، ولكن الشيخ هنا فرق بين الآيات والمخلوقات ولعله فرق بينها أولًا بالنظر إلى التعبير القرآن.

لأن هنا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[فصلت:٣٧] ثم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأعراف:٥٤]، قد يكون هذا وجه التفريق أولًا، وثانيًا: أنت لما تنظر إلى ما ذُكرت تحت الآيات وما ذكرت تحت المخلوقات بينها فرق بسيط.

وهذا الفرق بالنظر إلى الإلف الذي يألفه الإنسان، لأن الآيات هي البيانات الواضحة التي توصلُ إلى المراد وهذه التي ذكرها تحت الآيات هي كلها متقلبة ومتغيرة تذهب وتأتي، فمثلًا: الليل والنهار، لا تدوم الليل ولا تدوم النهار تتعاقبان، وهذا التعاقب يلفت النظر.

وكذلك الشمس والقمر ليست دائمة تتغير وتتعاقب، وهذا التعاقب كما قلت والاختلاف هذا يلفت النظر، أما السماوات السبع، السماوات والأرض فأحدنا يصبح ويمسي ويراهما وإلفه للسماء والأرض هذا قد يحجب عنه كونها من الآيات، وإلا النظر إلى أي مخلوق هذا يؤديك إلى معرفة ربوبيته سبحانه

وحدانيته.

يقول أحد الشعراء:

تأمـــل ســـطور الكائنـــات فإنهـــا ... مـــن الملـــك الأعلـــى إليـــك رســـائلُ
وقـــد خـــط فيهـــا لـــو تأملـــت خطهـــا ... ألا كـــل شـــيءٍ مـــا خـــلا الله باطـــلُ

فكل المخلوقات هي من ناحية آيات ومن ناحية مخلوقات، ولكن كما قلنا هذا التفريق الذي ذكره هنا أولًا بالنظر إلى التعبير القرآني وثانيًا بالنظر إلى هذا التغير الذي في بعضها والاستدامة التي في بعضها.

يقول: بآياته ومخلوقاته (﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾) من آياته، آياته كثيرة جدًا، منها الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته، مخلوقاته كثيرة منها أنت أيها المخلوق، فكر في ذاتك، فكر في نفسك، فكر في أي جزءٍ من أجزاء جسمك أي عضوٍ من أعضائك، يكفيك للتوصل إلى ربوبيته سبحانه ووحدانيته.

ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن، أي وما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، ما بينهما من الخلائق التي لا تحصى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ هذا التعبير قد يكون الشيخ أخذ منها آياته ومخلوقاته.

(﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾) طبعًا هذا الخطاب للجميع وأول المخاطبون هم مشركو مكة، وفيهم من يعبد الشمس والقمر زعمًا منهم أن هذه مخلوقات الله ﷻ وهي مخلوقاته العظيمة.

بما أنها مخلوقاته العظيمة فلذلك إرضاءً له نعبد شيئًا من مخلوقاته حتى يرضى عنا، هكذا كانوا يرون، فالله ﷻ يقول: (﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾) الله ﷻ هو الذي خلقهن وأنتم تعترفون بذلك.

هنا خلقهن الجمع للجنس لأن النجوم والكواكب كثيرة جدًا باعتبار الجنس جمعًا، (﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾) أنتم تعبدون غير الله ﷻ وتصرفون لها شيئًا من أنواع العبادات وتزعمون أن هذه العبادة وسيلة للتوصل إلى رضى الله ﷻ وإلى قربه هكذا تزعمون. لا، هذا خطأ، إن

كنتم تريدون عبادته وإن كنتم تريدون إفراده بشيء من العبودية فلا تعبدوا شيئًا من المخلوقات، (﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾).

كما يقول النحاة والبلاغيون تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، إن كنتم تعبدون إياه، قدمه (﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾) إذا كنتم تزعمون أنكم تفردونه بالعبادة فما هكذا تكون إفراده بالعبادة.

فهنا لا شك أن تعاقب الليل والنهار واختلافهما يدل على كونها وكون جميع النجوم والكواكب وجميع الكواكب كونها محدثة والحادث يحتاج إلى من يحدثه يحتاج إلى من يخلقه، فلابد أنها مخلوقة، من الذي خلقها؟ (﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾).

أيضًا ذكر الآية الأخرى لتأكيد هذا المعنى: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) ربكم الذي تعتقدون ربوبيته كما ذكرنا المشركون لا يخالفون في ربوبية الله ﷻ من حيثُ الجملة، نقول من حيثُ الجملة لأن هناك عندهم غبش في هذا، ولكن الأصل أنهم يعتقدون أن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض.

وهذا يذكرونه بكل جزم، (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) في ستة أيام، لماذا في ستة أيام؟ ما نعرف، هذه حكمة ترجع إلى الله ﷻ إلى خلقه فنحن ما ندري لماذا ذكر هذه المدة.

(﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾) أيضًا هذا شيء غيبي بعد خلق السماوات والأرض استوى على العرش، كيف استوى على العرش؟ ما ندري إلا أن الله ﷻ ذكر هذه الصفة في معرض التمدح.

لاحظوا هنا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الله ﷻ يمدح نفسه بذكر ربوبيته وبذكر خلقه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذه أيضًا ذكره في معرض التمدح، الله ﷻ تمدح بهذه الصفة فلا يجوز أن نؤولها، يعني بعض الناس يقول: استوى بمعنى استولى والاستيلاء يكون بعد المغالبة، فمن الذي غالب الله ﷻ على عرشه؟

الله ﷻ أخبر بهذه الصفة أخبر عنها في سبع مواطن في القرآن الكريم ويجب أن نؤمن بها كما وردت، والاستواء هو العلو والارتفاع، الله ﷻ هو الذي خلق العرش، والعرش هو أعظم المخلوقات

على الإطلاق، الله ﷻ هو الذي خلقه، وهو الذي يحفظه وهو الذي يديمه، الله ﷻ ليس بحاجة إلى مخلوقاته ومن ذلك العرش.

إذًا لماذا استوى؟ ما ندري، واستوائه ليس فيه أي احتياج، يعني هل يحتاج الله ﷻ إلى من خلقه؟ فالذي يظن من هذه الصفات أنه يستلزم من ذلك كذا وكذا فلذلك نؤول فكأنه يستدرك على الله ﷻ، وكأنه يلقنه ويذكره بأنه ما ذكرته عن نفسك وما نسبته إلى نفسك هذا لا يليق بك.

ومن أنت حتى تستدرك على الله ﷻ، هذا الباب كله غيبي، لا يتم الإيمان به إلا بالاستسلام الكامل لأنه كله غيبي.

(﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾) أي يغطي الليل بالنهار ويغطي النهار بالليل.

(﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾) أي أحدهما يطلب الثاني حثيثًا، أي هذا يأتي بعد هذا مباشرة ولا يتأخر. الليل يطلب النهار، والنهار يطلب الليل، أحدهم يأتي بعد الثاني بهذه السرعة.

﴿وَالشَّمْسَ﴾ أي خلق الشمس والقمر والنجوم خلقها ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ هذه كلها مسخرة بأمر الله ﷻ، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ الخلق يدخل فيه جميع المخلوقات ويتضمن أحكامه الكونية القدرية كلها.

(﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾) والأمر يتضمن الشرائع والنبوات، ويتضمن جميع أحكامه الدينية الشرعية. ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. البركة هي كثرة الخير ونماؤه. ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

الله ﷻ تبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإطالة الخير الجزيل والكثير فكل خيرٍ في المخلوقات فمن الله ﷻ.

والربُ هو المعبود، في السؤال الأول قال: من ربك؟ ثم قال: بم عرفت ربك؟

هو الآن يدلنا ويبين لنا ما هو الرب؟ ما هو معناه؟ ومن هو الرب؟ والربُ هو المعبود. طبعًا كما قلنا الشيخ عودنا على هذا المنهج: «**كل شيء بالدليل**»، كل ما يذكره بالدليل حتى لا يأتي أحد ويقول:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي ذكر هذا في كتابه وكذا وكذا، لا كل شيء بالدليل.

(وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]).

هذه الآية من الأدلة العامة على إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبودية كما سيأتي التنبيه عليه، من الأدلة العامة.

سنذكر هذا إن شاء الله في بداية ذكره للأدلة، المهم هذا من الأدلة العامة على إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبودية.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ هنا: (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾)، قبل التعليق على هذه الآية نذكر تعريف العبادة، كما ذكرنا الأصول الثلاثة هي معرفة الرب سبحانه، ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في الأصل الأول أهم شيء ركز عليه الشيخ هي معرفة العبادة، لابد أن نتنبه، أهم شيء في الأصل الأول بل هو مرتكز جميع الأصول أن تعرف العبادة وتفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

الخلل الذي حصل ويحصلُ عند الناس الذين عندهم شيء من الشرك، الخلل الذي يحصل عندهم مع دعواهم للتوحيد هو عدم فهم العبادة، وعدم معرفة الشرك، إذا لم تعرف التوحيد جيدًا فمن الطبيعي أن تخطأ فيما يضاده وهو الشرك، فلابد أن تعرف ما معنى العبادة لأن صرف أي نوع من العبادات لغير الله عَزَّوَجَلَّ هذا شرك أكبر مخرج من الملة، فلابد أن تعرف العبادة.

وإذا سألت أحدًا من المسلمين حتى الذين عندهم أنواع من الشرك، إذا سألته وقلت له هل أنت تحب الشرك أو تريد أن تقع في الشرك فيستعيذ بالله.

كل من كان من أهل القبلة بإخلاص، طبعًا أهل القبلة يدخل فيهم أيضًا المنافقون، نحن نتحدث عمن كان من أهل القبلة بإخلاص.

كل من ينتسب إلى الإسلام بعقيدة خالصة لا يريد أن يقع في الشرك من حيث الإجمال، فالشرك يستقذره جميع المسلمين سواءً من عرفه أو من لم يعرفه.

فلماذا يقع فيه البعض؟ لا يعتقد أن هذا شرك، هذا الذي يطوف حول القبور يظن أنه لا زال في عبادة، يظن أنه لازال في طريقه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لأنه يعتقد أن هذا المقبور سيقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

نفس المعتقد الذي كان عليه المشركون، ولذلك سيقرر الشيخ محمد في القواعد الأربع أن هذا الذي نراه، ترى هذا شرك، بعض الناس يقرر أن كل من تشهد بلا إله إلا الله فلا يقع منه الشرك.

طيب هذا الطواف حول القبور؟ يقول هذا ليس شركًا ما لم يعتقد ربوبية هذا الذي يسأله فليس شركًا، هكذا يقولون. من شرط أن يكون هذا أو ذاك شركًا أن يعتقد فيه الربوبية وإلا لا يكون شركًا، هكذا يقولون.

فلابد أن نضبط ما هي العبادة، وإذا عرفنا العبادة سنعرف توحيد العبودية جيدًا، وإذا عرفنا هذا التوحيد سنعرف ما يضاده، يضاد أصله أو يضاد كماله، سنعرف هذه الأمور.

فلذلك لابد أن نعرف ما هي العبادة؟

العبادة يعرفها الأصوليون أو كثير من العلماء يعرفها بأنها: كل ما أُمر به، هذا القيد الأول، كل ما أمر به، من غير اقتضاء عقلي أو اضطراد عرفي، فيها ثلاث قيود.

كل ما أمر به، ها هذا القيد الأول، من غير اقتضاء عقلي هذا القيد الثاني، ولا اضطراد عرفي هذا القيد الأخير.

أي لا يكون هذا المأمور من قبيل اقتضاء العقل، لا، هناك أمر ونص على ذلك من الشارع. ولا يكون أيضًا مما اضطرد عليه العرف من قبيل (بقاء ما كان على ما كان)، لا، هناك أمرٌ خاص من الشرع، هذا تعريفه.

هذا تعريف أيضًا صحيح، وأحسن منه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وهذا التعريف يدل على أن العبادة والدين مترادفان، «**اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**».

كل ما تظن أنه يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ فهذه عبادة. وكيف نعرف أن هذه عبادة وكيف نعرف أنها تقربنا إلى الله عَزَّوَجَلَّ؟، بالشرع.

فلذلك يذكر العلماء أن أي عبادة لا تقبل إلا بشرطين: الشرط الأول الإخلاص، أن تكون لوجه الله عَزَّوَجَلَّ.

والشرط الثاني: الإتباع، أن تكون على الوجه الذي بينها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه من التعريفات، وهناك تعريف أيضًا أشار إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل صاحبه هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القضبان

يقول: العبادة لابد فيها من أمرين: غاية الذل وغاية الحب. تحب الله عَزَّوَجَلَّ وتعظمه، ومع ذلك لابد من الذل له. وهذه أمور لابد أن تكون في العبادة.

أما التعريف الشامل والأشمل هو تعريف شيخ الإسلام: «**اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**».

فلذلك إذا أردت أن تقدم على شيء وتزعم أن هذا يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ فلابد أن يكون عندك دليل، مثلًا ذهبت إلى المدينة مثلًا ورأيت الناس يتمسحون بالجدران، فلابد أن تتساءل لماذا هذا؟ هل هذا عبادة؟ هل هذا يقربنا إلى الله عَزَّوَجَلَّ؟ هل هذا مما شرعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لابد أن تسأل.

ولكن للأسف الشديد تجد العكس هناك الذي تقول له يا أخي هذه ليست عبادة، هذا قد يبعدك عن الله عَزَّوَجَلَّ، يقول لك أنت لا تحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه من الشبه التي يلقيها الشيطان لأن الشيطان أقسم بالله عَزَّوَجَلَّ أنه سيغوي بني آدم وهذا شغله فلذلك أهم شيء، أهم شيء في العبادة أن تعرف الدليل وأن هذا مما يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذلك ركز على هذه المسألة الشيخ محمد بل الأصل الأول يدور حول العبادة. ما هي العبادة؟ وما هي أنواع العبادة؟ سيفصل في أنواع العبادة تفصيلًا رائعًا جدًا لماذا؟ حتى لا يُظن أن هذا ليس من العبادة.

فلابد أن نعرف العبادة لأنه كما قلت هذا التوحيد يرتكز على معرفة العبادة وأنواع العبادة وحتى

نفردها، نفرد الله ﷻ بالعبادة.

والرب هو المعبود والدليل قوله تعالى: (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾) هذا أول أمرٍ في القرآن حسب الترتيب، (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾) أول أمرٍ في القرآن، اعبدوا ربكم، اعبدوا هذا الأمر بالعبادة، لم يقل اعبدوا معبودكم بل قال اعبدوا ربكم، وفي هذه اللفظة استدلال.

لماذا تعبده؟ لأنه ربك هو الذي خلقك، وذكر بعض مظاهر ربوبيته ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخلق كما ذكرنا من أفعال الله ﷻ ويرجع إلى معنى الربوبية (﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) كلكم مخلوقون لله ﷻ فلماذا تتجهون إلى غيره ببعض أنواع العبادة؟

(﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾) جعلها فراشًا تستقرون عليها وتنتفعون بالأبنية والزراعة والحراثة وغيرها هذه، الأرض.

(﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾) هذه كلها نعم الله ﷻ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذه النعم تحيط بك من الأرضِ إلى السماء، كل ما حولك يخدمك، فمن الذي يستحق العبادة؟ هو الله ﷻ هو الرب الذي خلقك وخلق كل المخلوقات.

هذا من النوع الذي أشرنا إليه سابقًا أن الله ﷻ لما يذكر الربوبية في القرآن الكريم يذكره للاستدلال به على إلوهيته سبحانه، لماذا؟

لأن المشركين كما قلنا يقرون بالربوبية فيُلزِمهم بما أقروا به بما لا يقرون به وهو إفراده سبحانه بالعبادة.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ الند هو المثل والنظير والشريك ولو في صفة من الصفات، لا يلزم في الند والشريك والمثيل أن تكون الأنداد مساوية لله ﷻ في كل شيء، لا يكون ندًا إلا إذا جُعل مساويًا لله ﷻ في كل شيء، لا.

إذا أعطيته صفة من صفات الله ﷻ فقد جعلته ندًا، إذا صرفت له نوعًا من أنواع العبادة فقد جعلته ندًا، مثلًا ذهب شخص إلى القبر وسأله أن يتوسل إلى الله ﷻ بكذا وكذا.

من الذي يسمع بغير الأسباب؟ الله عَزَّوَجَلَّ وهذا الرجل يعتقد في هذا المقبور أنه يسمعه، ومن الذي يفرج؟ الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا التوجه، مجرد هذا التوجه لا يجوز.

مجرد هذا التوجه يجعله لا يستحق الشفاعة، فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ كما قلنا هذا شرك أكبر مخرج من الملة، ولكن من يقع فيه من أهل القبلة ماذا يكون حكمه؟ حكمه أن يعلم لأنه ما يدري، هذا الذي استقر في ذهنه أو هذا الذي تعلمه ممن هم عنده فلابد أن يعلم، ولابد أن يُبين أن هذا شرك.

وهذا كما ذكر الشيخ في رسالة سابقة: أعظم أمرٍ أمرنا به وأعظم نهي في الدين، أَلَّف رسالة في نصف صفحة فيها هاتين الكلمتين. فلابد أن يُبين.

ومن بُين له وأقيمت عليه الحجة وزالت الموانع فهذا حكمه خطير جدًا، أمره يكون إلى القاضي.

فكما قلت: جعله ندًا لا يستلزم أن يجعل ندًا في كل شيء، بل إذا صرف له شيء من أنواع العبادة فقد جعلته ندًا.

﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأنتم تعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقكم، كل ما ذُكر هنا لا يخفى عليكم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ هذا من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، من صغار تلاميذه، ولد سنة سبعمائة وواحد وتوفي سنة سبعمائة وأربعة وسبعين.

يقول: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة. من خلق هذه الأشياء هو الذي يستحق العبادة.

وأنواع العبادة، الآن يدخل في المطلوب شيئًا فشيئًا، وأنواع العبادة التي أمر الله بها كثيرة، أنواع العبادة التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها كثيرة، بدأ بأعظمها الإسلام والإيمان والإحسان.

وهذه الثلاثة هي مراتب الدين كما سيأتي تفصيلها في الأصل الثاني، الأصول الثلاثة الأصل الثاني هو معرفة الدين، سيأتي هناك بيان هذه الأركان الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، هذه أهم أنواع العبادة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلاَمِ، وَالإِيْمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوْعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاِسْتِعَانَةُ، وَالاِسْتِعَاذَةُ، وَالاِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وَفِي الحَدِيْثِ: «الدُّعَاءُ مُخُ العِبَادَةِ»، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

قال الشارح وفقه الله:

نعم، أنواع العبادة التي أمر الله بها كثيرة منها: الإسلام والإيمان والإحسان وسيأتي تفصيلها، ومنه الدعاء والخوف والرجاء سنذكر تعريفاتها عندما سيذكر الأدلة عليها.

والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها.

حبذا لو كل من يحضر الدورة أو هذا الدرس يحفظ هذا الكتاب الأصول الثلاثة وخاصة هذا الموطن الذي ذكر فيه أنواع العبادة، ذكر أنواع العبادة بأدلتها.

أنا أحثكم على حفظ هذا المتن كله أو هذا الموضع بالخصوص، لاحظوا كم فصَّل فيه، ذكر أنواع العبادة التي بعضها متقاربة.

الخوف والرهبة والرغبة والخشوع والخشية، هذه كلها متقاربة. الاستعانة الاستغاثة الاستعاذة هذه كلها متقاربة. ذكرها كلها لأن هذا الموضع موضع تفصيل، حتى لا يُظن أن شيئًا منها صرفها لغير الله

ﷻ يجوز، حتى لا يظن أحد أن صرف شيئًا منها لغير الله ﷻ يجوز، فلذلك فصل هذا التفصيل.

يقول: كلها لله تعالى. الله ﷻ هو الذي يستحقها والدليل قوله تعالى.

طبعًا الأدلة عمومًا الأدلة على ثبوت شيءٍ معين أنه عبادة تنقسم إلى قسمين، لما تريد أن تثبت أن هذا الشيء عبادة يجب إفراده لله ﷻ الأدلة على ذلك تنقسم إلى قسمين: الأدلة العامة، والأدلة الخاصة.

الأدلة العامة مثل: الآية التي قرأناها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ هذا عام يشمل كل عبادة، وكذلك ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا﴾ هذا أيضًا من الأدلة العامة، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ هذا أيضًا من الأدلة العامة، يدخل فيها جميع أنواع العبادة.

والنوع الثاني، الدليل الأول الدليل العام، والنوع الثاني هو الدليل الخاص، أن تذكر دليلًا معينًا على مسألة معينة، فمثلًا: مسألة النذر تدعي أنها عبادة ويجب أن تفرد لله ﷻ وتذكر دليلًا خاصًا بالنذر، هذا دليل خاص، ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[الإنسان:٧]، الله ﷻ مدحهم بإيفاء النذر وهذا يدل على أن الله ﷻ يحب ما دام أنه يحب أن يوفى بالنذر فهذا عبادة، أن الله ﷻ يحبها.

هكذا لابد أن نعرف بالنسبة للأدلة، والشيخ محمد لما أَلَّف كتاب التوحيد انتهج هناك نفس المنهج الذي انتهجه هنا، لاحظوا أنه بدأ أولًا بالأدلة العامة ثم سيدخل في الأدلة التفصيلية، كل عبادة لها دليل خاص. في كتاب التوحيد أيضًا هكذا فعل.

أولًا: ذكر الآيات والأحاديث التي فيها وجوب التوحيد وفيها تعريف التوحيد، ثم ذكر فضله ثم ذكر بعض الأبواب وبعدها كل مسألة لها باب مستقل وعليها أدلة، وهكذا فعل هنا أيضًا.

يقول: والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا﴾ الدعاء هنا يعم دعاء المسألة ودعاء العبادة، ولذلك جعلنا هذه الآية من الأدلة العامة، لأن الدعاء يشمل دعاء المسألة الذي فيه طلب، ودعاء العبادة التي هي العبادة عمومًا.

﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ لا تدعوا مع الله، لا استثناء فيها، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك

كافر، فهو مشرك، ذكر الكافر لبيان أن هذا الشرك يخرجه من الملة.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أيضًا ومن يدعوا، يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ طبعًا هذا القيد لا مفهوم له، الذي يدعوا مع الله إلهًا آخر، هل يمكن أن يكون له برهان فيه شيء من ذلك؟ لا.

(﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾) هذه الآية أيضًا من الأدلة العامة. (﴿حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾)؛ أي حسابه وعقابه عند ربه، هذا تهديد.

وفي الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**» هذا حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا الحديث ضعيف، وهناك حديث صحيح وهو حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**».

(وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾) في البداية قال: (ادعوني) ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؛ لبيان أن الدعاء عبادة، (﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]) أي ذليلين حقيرين.

ومن هنا يبدأ الشيخ يذكر أنواع العبادة ودليلًا معينًا لكل عبادة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: « ... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:

١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَه﴾ [الأنعام: ١٦١ -١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

قال الشّارح وفّقه الله:

انتهينا من ذكر الأدلة العامة التي تدل على وجوب إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، والمؤلف الإمام محمد رَحِمَهُ اللهُ ذكر أنواعًا من العبادات وذكر أدلة عامة على إفراد الله عَزَّوَجَلَّ للعبادة ثم بدأ يذكر دليلًا خاصًا لكل ما ذكر من أنواع العبادات.

مثلًا: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة إلى آخرها، هذه أنواع العبادة، وسيذكر دليلًا خاصًا لكل عبادة بعد ما ذكر الأدلة العامة التي تتناول جميع أنواع العبادات.

سبق أن قرأنا ما يتعلق بالدعاء ونبدأ بالخوف، يقول المؤلف: ودليل الخوف قوله تعالى: (﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]) الخوف هو تألم القلب وحركته بسبب توقع مكروه في المستقبل، هذا هو الخوف.

والخوف المحمود هو الذي منعك عن محارم الله عَزَّوَجَلَّ، والخوف الذي يوصلك إلى درجة القنوط واليأس هذا ليس محمودًا، إنما الخوف الذي معه رجاء هذا هو المحمود وهو ركن من أركان العبادة القلبية.

والفرق بين الخوف والوجل أن الخوف يكون على شيءٍ يُخاف منه في المستقبل، أما الوجل فهو على شيءٍ مخوفٍ واقعٍ الآن.

وكلما كان العبد بالله أعلم بأسمائه وصفاته كان منه أخوف، ونقصان الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ يكون لنقصان معرفة العبد بالله عَزَّوَجَلَّ، إذا لم يعرفه حق المعرفة بأسمائه وصفاته وبعظمته وجلاله يكون خوفه منه أقل.

وكلما كان العبد بالله أعلم زاد خوفه بالله عَزَّوَجَلَّ، فأعرف الناس بالله عَزَّوَجَلَّ يكونون أخشاهم له.

والخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام: هو في بعض أنواعه شرك أكبر وفي بعض أنواعه محرم وفي بعض أنواعه لا يلام العبد على ذلك الخوف.

النوع الأول: هو خوف السر، وهذا شرك وهذا النوع من الخوف إذا حصل من العبد لغير الله عَزَّوَجَلَّ يقع في الشرك الأكبر، وهذا يسميه العلماء خوف السر، كأن يخاف عبدًا من العباد بعيداً عنه يعتبر فيه الولاية مثلًا ويظن أنه يطلع على ما في قلبه ويخاف منه مع أنه بعيد عنه.

هذا خوف السر وهذا يكون بعد اعتقاده أن ذلك الذي يخاف منه يطلع على ما في سريرته.

كذلك منه ما يكون ممن يعبدون القبور يخافون من أولئك المقبورين، يخافون منهم قد يكون خوفهم منهم أكثر من خوفهم من الله عَزَّوَجَلَّ وهذا شيء مشاهد.

الذي يرى أولئك الذين يطوفون حول القبور يرى حالتهم من الخوف والخشية عند أولئك المقبورين شيء قد لا يكون عندما يكونون في الصلاة، وهذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الخوف يجب أن يكون من الله عَزَّوَجَلَّ فقط.

النوع الثاني: هو خوف لأجله يترك الإنسان ما يجب عليه، يخاف من بعض الناس ولأجل هذا الخوف يترك بعض ما عليه من الواجبات، وهذا الخوف محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك.

هناك أناس عنده يخافهم ويظن أنه لو فعل هذه الطاعة أو تلك الطاعة سيتضرر من أولئك الناس، يترك بعض الواجبات خوفًا من بعض الناس، وهذا محرم.

النوع الثالث: هو الخوف الطبيعي، الخوف الطبيعي عنده أسباب الخوف، أمامه أسد، أمامه أي سبع مفترس، أمامه أي شيء يخاف منه، وهذا خوف طبيعي لا يلام عليه الإنسان وليس من الشرك

والحرمة في شيء.

إذًا الخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

والاستسلام لله ﷻ وتفويض الأمور إليه بكاملها، هذا ينزع الخوف من البشر بكامله. وما نقع فيه من الخوف أحيانًا من الناس يكون لأجل نقصٍ في تفويض الأمور إلى الله ﷻ.

يقول دليل الخوف قوله تعالى: (﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) الله ﷻ هنا ربط الإيمان به ربطه بأن يكون الخوف منه فقط (﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾) لماذا تخافونهم؟ ما الذي بيدهم حتى تخافوهم؟

ما الذي يستطيع أن ينفعك به أو يضرك به حتى تخافه؟ مخلوق مثلك: (﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) هذا ما يتعلق بالخوف.

ثم قال: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ)، الرجاء أيضًا عبادة لابد أن تكون لله ﷻ من الله ﷻ فقط، يقول دليل الرجاء: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]).

هنا يقول الله :ﷻ (﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾)؛ أي فمن كان يأمل لقاء ربه أي: يأمل موعوده ويأمل ثوابه ويأمل لقاءه. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو العمل الذي يوافق شرع الله ﷻ ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: فليخلص أيضًا نيته لله ﷻ.

في هذه الآية بيَّن الله ﷻ الشرطين اللذين لابد منهما لقبول العمل، الأول: شرط الإخلاص. لابد أن يكون هذا العمل لله ﷻ فقط.

الثاني: لابد أن يكون متوافقًا مع ما جاء من النبي ﷺ مع ما شرعه الشارع. إذا لم يكن متوافقًا مع السنة وإذا لم يكن مخلصًا فيه للنية فلا يقبل العمل.

والرجاء هو رغبة وطمع في الحصول على شيءٍ مرجو. وهو يتضمن التذلل والخضوع. الرجاء يتضمن الخضوع والتذلل.

وهناك فرق بينه وبين التمني، الرجاء يكون مع بذل الجهد. الذي يرجوا يبذل الجهد ويسعى للحصول على ذلك المرجو، وأيضًا يكون مع حسن التوكل.

أما التمني فيكون مع الكسل لا يعمل شيئًا، لا يجتهد في الحصول على المرجو، لا يعمل لأجله، ومع ذلك يرجوا أن يكون في المقامات العالية، أن يدرك المراتب العالية، وهذا كله إذا لم يكن بعمل فهو لا حقيقة له.

أما الرجاء فيكون معه عمل. والرجاء دائمًا هو الذي يحدوا الإنسان إلى العمل، هو الذي يدفعه ويبعثه للعمل، لولا رجاؤنا بالله عَزَّوَجَلَّ بثوابه، رجاؤنا برحمته وأيضًا خوفنا من نقمته ما كان هناك عمل.

فالرجاء دائمًا يبعث ويحمل على العمل، فلذلك لابد أن يكون رجاءك بالله عَزَّوَجَلَّ أعظم.

وهو في الحقيقة يتضمن الخوف أيضًا، لأن الرجاء الذي لا خوف معه هذا يوصل إلى الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ مثل ما يكون من كثير من الناس، الله غفور رحيم، فيترك العمل، هذا الرجاء ليس رجاءً، الرجاء الشرعي لابد أن يكون معه خوف.

هذان أمران متلازمان، الخوف الذي ليس معه رجاء هذا ليس عبادة، والرجاء الذي ليس معه خوف ليس عبادة.

وبالنظر إلى النصوص يتبين أن الرجاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام وأيضًا من حيث الإجمال.

القسم الأول: رجل يعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ حسب شرع الله عَزَّوَجَلَّ فهو يرجوا ثواب الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو الرجاء الصحيح.

القسم الثاني: شخصٌ يقع في الذنوب ويتوب منها فهو يرجوا مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ وأن يتوب الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وهذا أيضًا يعني رجاء مشروع لأنه يرجوا في عفو الله عَزَّوَجَلَّ وإحسانه وكرمه.

القسم الأخير الذي هو رجاء غير شرعي: رجاء رجلٍ متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجوا رحمة الله بلا عمل، وهذا كما قلنا هو غرور وتمني وليس من الرجاء في شيء، وهو رجاءٌ كاذب.

ولابد كما قلنا أن تقوي رجاءك بالله عَزَّوَجَلَّ لأن من قوي رجاءه ازداد عمله الصالح، ولولا الرجاء لما

سار أحد، لأن الخوف وحده لا يحرك العبد إنما يحركه الحب ويزجره الخوف ويحدوه الرجاء. وهذه الأمور الثلاثة الحب والرجاء والخوف هذه الأمور الثلاثة هي أركان العبادة القلبية، أيُّ عبادة قلبية ليس فيها حب وليس فيها رجاء وليس فيها خوف فليست عبادة شرعية.

هناك من يتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بالرجاء فقط كما هو حال المرجئة، وهناك من يتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بالخوف فقط كما هو حال الخوارج والمعتزلة، وهناك من يتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بالحب فقط كما هو زعم الصوفية وغيرهم، وهؤلاء كلهم في ضلال.

العبادة الصحيحة التي يكون فيها الحب والرجاء والخوف مجتمعة، وهي كما قلنا أركان العبادة القلبية.

ثم قال: (**ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾**)، وعلى اللهِ لا على غيره، لأن أصل الجملة هكذا: فتوكلوا على الله، وقدم ما حقه التأخير ليفيد الاختصاص وليفيد الحصر والقصر، وعلى الله فقط فتوكلوا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

علمنا أن التوكل عبادة من أمرين: الله عَزَّوَجَلَّ أمر به وثانيًا الله عَزَّوَجَلَّ ربط الإيمان به، وكأنه يقول: لابد من التوكل في تحقيق الإيمان، ومن لم يكن متوكلًا على الله عَزَّوَجَلَّ فلا يمكنه أن يحقق الإيمان، (﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]).

أيضًا قوله سبحانه (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]) ومن كان الله جَلَّ جَلَالُهُ حسبه وكفايته فعلى من يتوكل غيره حتى ينفعه أو حتى يكفيه.

والتوكل هو في الحقيقة صدق التفويض والاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأمور. أن تكون مفوضًا لله عَزَّوَجَلَّ وأن تكون معتمدًا على الله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأمور هذا هو التوكل.

أيضًا تكون مظهرًا للعجز والاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأمور.

والتوكل يكون بأمرين:

الأمر الأول: تعلق القلب بالله عَزَّوَجَلَّ وتفويض الأمور إليه والاعتماد عليه.

والأمر الثاني: الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ.

يعني التوكل لابد فيه من تعلق القلب بالله عَزَّوَجَلَّ ولابد فيه من بذل الأسباب مع عدم الاعتماد على الأسباب، فليس من التوكل أن تترك الاعتماد على الأسباب هذا ليس من التوكل هذا من الجنون لأن الله عَزَّوَجَلَّ ربط المُسَبَبَاتِ بالأسباب لابد أن تبذل هذه الأسباب ثم تتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

رجل مثلًا أراد أن يسافر وهو يحتاط لنفسه وما يتعلق بالسيارة وما يتعلق بالمكابح وغيرها فيضبطها حسب ما يمكن. بعد ذلك لا يقول أنا بذلت جميع الأسباب، لا هناك أمور تكون في الطريق لا تحسب لها حسابًا هذه الأمور تعتمد على الله عَزَّوَجَلَّ فيها.

حتى الأسباب التي بذلتها لا تعتمد عليها فبذل الأسباب لابد منه في التوكل، وليس كما يظنه منحرفو الزهاد أن التوكل يكون مع عدم بذل الأسباب، فلابد أن تبذل الأسباب ثم تعتمد على الله عَزَّوَجَلَّ ولا تعتمد على الأسباب التي بذلتها.

وبقدر قوة تعلقك وحبك لله عَزَّوَجَلَّ وقوة اعتمادك على الله عَزَّوَجَلَّ يقوى التوكل، كل من كان اعتماده على الله عَزَّوَجَلَّ أكبر فتوكله على الله عَزَّوَجَلَّ أكبر.

أما إذا كان توكلك على الله عَزَّوَجَلَّ ضعيفًا فسببه ضعف الاعتماد عليه عَزَّوَجَلَّ.

وأيضًا قوة التوكل تدل أيضًا على قوة توحيدك، من كان توحيده ضعيفًا فيكون اعتماده على الله عَزَّوَجَلَّ ضعيفًا حتى ولو كان في ظاهره يظهر التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

والرغبة والرهبة والخشوع هذه ألفاظ متقاربة، الرغبة والرهبة والخشوع دليلها في آية واحدة: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]) يعني يتنافسون فيها، يتنافسون في الطاعات، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ أي رغبًا فيما عندنا ﴿وَرَهَبًا﴾ مما عندنا، رغبًا فيما عندنا يرغبون ما عندنا من الثواب والأجر والمغفرة ويرهبون مما عندنا من العذاب. ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

في الأصل: (وكانوا خاشعين لنا)، فكما قلنا مرارًا تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص، ﴿وَكَانُوا

﴿لَنَا خَاشِعِينَ﴾ معناه لم يكونوا يخشعون لأحد إلا منا. ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

والرغبة: طلب الوصول إلى الشيء المحبوب، الرغبة طلب الوصول إلى الشيء المحبوب، والفرق بينه وبين الرجاء أن الرجاء كما قلنا طمع، الرجاء طمع والرغبة طلب، من طمع طلب فهما متلازمان.

فمن طمع دخول الجنة فطمعه رجاء ومن طلبها بالعمل والسؤال والالتجاء إلى الله ﷻ بالعمل الصالح يسمى طلبه وسعيه رغبة، فكل رغبة رجاء لأنه يتضمن الطمع، لو لم يكن هناك طمع ما طلبه.

أما الرهبة فهو الخوف والفزع الذي يثمر الهرب من المخوف، هناك شيء مخوف وهو عذاب الله ﷻ أو سخطه فالإنسان يخافه ويهرب منه ويفزع منه وهذا الخوف والفزع يثمر هروبه من كل ما يسخط ويغضب الله ﷻ، والرهبة هو خوف ولكنه مقرون بالعمل وهو خوف مقرون بالعمل وهذه ألفاظ كما قلنا متقاربة.

الخشوع: هو الذل لعظمة الله ﷻ ويكون في القلب والجوارح، وهو قريب من الخضوع، الخشوع والخضوع يعني قريبان، إلا أن الخضوع يكون في البدن والخشوع محله القلب ولكنه يثمر ثمرته على الجوارح، والجوارح تُظهر الخشوع.

الخشوع محله القلب ولكن الذي يخشع تعلم حاله من جوارحه.

أما الخضوع؛ فيكون في الظاهر، قد يكون في الظاهر في حالة خشوع ولا يكون في قلبه شيء، فالخشوع يتعلق بالقلب ويظهر على الجوارح، والخضوع يكون في الظاهر.

وكلما خشع القلب لله ﷻ كان أكمل له عبوديةً.

والخشوع والخشية والخوف هذه كما قلنا ألفاظ متقاربة.

قوله: (**وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...﴾ الآية** [البقرة: ١٥٠]).

الخشية أيضًا بمعنى الخوف، إلا أن الخشية أخص من الخوف لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله ﷻ.

يقول الله ﷻ: (﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، يقول ابن القيم رحمه الله خشيته سبحانه

مقرونة بمعرفته وعلى قدر المعرفة تكون الخشية.

إذًا الفرق بين الخشية والخوف أن الخشية هي خوف خاص، ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾ لماذا؟ لأنهم ليسوا أهلًا للخشية، لماذا تخشونهم، واخشوني لأن خشية الله عَزَّوَجَلَّ رأس كل خير، من لم يخشى الله عَزَّوَجَلَّ لم ينزجر عن معاصيه ولم يمتثل أمره.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الوصلة»، لأن أساسها الخشية.

والخشية مثل الخوف لا تنفع إلا إذا تضمنت الرجاء، قلنا الخوف الذي ليس معه رجاء هذا ليس عبادة، وكذلك الخشية التي ليس معها رجاء ليست عبادة شرعية لذلك إذا لم تكن الخشية معها رجاء تكون قنوطًا مثل الخوف وإياسًا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن كان خاشيًا لربه رزقه الله ﷻ حياة القلب من المواعظ والعبر، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى:١٠]، الذي يستفيد من المواعظ والعبر والذي يستفيد من آيات الله ﷻ هو الذي يخشاه، هو الذي يخشى الله ﷻ.

وأخشى الناس لله ﷻ أعرفهم به، والعالم حقًا هو من خشي الله ﷻ، ولذلك قال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ومن خشي الله عَزَّوَجَلَّ عاش بين الخلق عزيزًا لأنه يخشى الله عَزَّوَجَلَّ فقط. وعاش أيضًا في حياته سعيدًا، أما من خشي المخلوق فلا يهنأ له بال، دائمًا يخشى من المخلوق، يخشى هذا ويخشى هذا ويخشى هذا، لأن هذا لا ينتهي. أما من خشي الله عَزَّوَجَلَّ فقط هذا يحيى عزيزًا وسعيدًا لأن خوفه وخشيته ورجاءه في الله عَزَّوَجَلَّ فقط.

ثم قال: (**ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾** [الزمر: ٥٤]).

(﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾) بقلوبكم، (﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾) بجوارحكم. والإنابة هي قريبة من التوبة، لأن التوبة يكون فيها رجوع إلى الله ﷻ وهكذا في الإنابة، ولكنَّ الإنابة تتضمن معنًا ليس في التوبة.

رجل وقعَ في المعاصي مثلًا ثم تاب، فالله عَزَّوَجَلَّ يتوب على من تاب، بعد توبته إذا أقبل على الطاعات واستمر فيها فهذه إنابة، فالإنابة شيء زائد على التوبة ولكنها مترتبة على التوبة.

ومن أقبل ورجع إلى المعاصي بعد التوبة فتوبته ليست توبة، ومن استمر على ما كان عليه بعد التوبة فليس منيبًا، أما من أقبل على الطاعات بعد التوبة فهذا هو المنيب، فالإنابة فيها معنى زائدًا على التوبة.

والمنيب إلى الله عَزَّوَجَلَّ هو المسرع إلى مرضاته، والعائد إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل وقت لا يسمى العبد منيبًا إلا إذا كان مستمرًا في الطاعة وهو في هذا قريب من القنوت، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾[النحل:١٢٠]، القنوت هو الطاعة المستمرة.

ثم قال: (**ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥]).

في قول الله عَزَّوَجَلَّ (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾)، أيضًا كما ذكرنا مرارًا تقديم ما حقه التأخير، لأن المفعول يؤخر دائمًا في الجملة، وهنا قدمه الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وإلا هو في الأصل نعبد إياك، ونستعين بك، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قدمه لبيان أن العبادة هي خاصة لله عَزَّوَجَلَّ.

(﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾)؛ أي نعبدك فقط ولا نعبد غيرك، لأن المشركين يعبدون الله وَجَلَّ ويعبدون غيره فلذلك صاروا مشركين، أما الذي لا يعبد الله وَجَلَّ هذا لا يسمى مشركًا، المشرك دائمًا هو يعبد الله وَجَلَّ ويعبد غيره فلذلك صار مشركًا.

فـ(إياك نعبد)؛ أي نحن نعبدك فقط ولا نعبد غيرك، وكذلك الاستعانة، الاستعانة يدخل فيها العبادة أيضًا، من كان يستعين بالله عَزَّوَجَلَّ فقط فلا يكون إلا مفردًا له، موحدًا إياه بجميع أنواع العبادات ومنها العبادة عمومًا.

العبادة أنواع كثيرة منها الاستعانة، (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾) يدخل فيها (﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾)، لأن الاستعانة من العبادة، ولكن الاستعانة ذكرت هنا بعد العبادة لبيان أن هذه العبادة أيضًا لا يمكن أن تتحقق إلا بالاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ.

لا تظن أن العبادة تحققها بنشاطك بعملك، لا يمكن أن تحققها إلا بالاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ. فاستعن

بالله عَزَّوَجَلَّ في كل شيء وخاصة في أداء العبادات.، ولذلك خصت بالذكر وإلا الاستعانة داخلة في العبادة، إياك نعبد ومنها الاستعانة.

والاستعانة: السين هنا للطلب، الاستعانة الاستعاذة والسين في مثل هذه يكون للطلب، والاستعانة طلب العون، والاستعانة التي تكون بالله عَزَّوَجَلَّ فقط هي تجمع ثلاثة أمور، الاستعانة التي لابد أن تكون بالله عَزَّوَجَلَّ فقط تجمع ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الثقة بالله عَزَّوَجَلَّ هذه الأمور الثلاثة لابد أن نعرفها لأن الاستعانة العادية بمن يستطيع أن يعينك لا بأس فيها، رجل يستعين بشخص حاضر على شيء يستطيعه لا بأس في ذلك.

مثلًا: أنا أستعين بفلان الموجود عندي في حمل ثقل في حمل متاع، لا بأس فيه.

ولكن هناك استعانة فيها ثلاثة أمور وهذه الاستعانة لا تكون إلا بالله عَزَّوَجَلَّ، ولكن إذا كانت الاستعانة برجل حاضر في شيء لا يستطيعه أيضًا هذه الاستعانة لا تكون إلا بالله عَزَّوَجَلَّ، مثلًا: شخص موجود عندي واعتقد أنه يعني، فلان يعتقد فيه أنه ولي من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ ويطلب منه أن يمطر المطر، يستطيع؟ هذا عمل لا يستطيعه لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أيضًا استعانة شركية.

أما الاستعانة بشخص حاضر فيما يقدر عليه هذا لا بأس فيه.

أما الاستعانة التي لابد أن تكون لله عَزَّوَجَلَّ فكما قلت تجمع ثلاثة أمور، الأمر الأول: الثقة بالله عَزَّوَجَلَّ.

الأمر الثاني: الاعتماد الكامل عليه.

أنت لما تستعين به تعتقد أن بيده العون وأنه يستطيع وأن في قدرته أن يعينك، تعتمد عليه ولا تكون شاكًا، طلبت منه العون وما أدري هل يتحقق أو لا؟ هذه ليست استعانة، لابد أن تكون معتمدًا عليه وعلى قدرته.

والأمر الثالث الذي لابد منه أيضًا: كمال الذل لله عَزَّوَجَلَّ.

والاستعانة التي تجمع هذه الأمور الثلاثة إذا صرفت لغير الله عَزَّوَجَلَّ هذا شرك أكبر، استعنت بشخص واعتقدت فيه هذه الأمور الثلاثة وتذللت له، وخضعت له كما تخضع وتتذلل لرب العالمين

فهذا شرك.

الثقة بالله ﷻ، الاعتماد على الله ﷻ، وكمال الذل لله ﷻ.

ومدار الدين على العبادة والاستعانة، تتعبد لله ﷻ تتقرب إليه مع الاستعانة به، لأن الله ﷻ هو الذي يعينك على كل شيء ومنها العبادة.

وإعانته لك على العبادة هذا لطف خاص وفضل خاص من الله ﷻ.

والعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ العبادة من مقتضيات الألوهية، والاستعانة من مقتضيات؟ الربوبية. ولكن الطلب أنت لما تطلب من الله ﷻ هذه عبادة، تستعين به هذه عبادة، أما اعتقادك أن الله ﷻ هو يعينك وبيده العون وهو قادر على إعانتك هذه كلها معاني الربوبية.

وفي الحديث: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» لا تستعن بغيره لأنه لا يستطيع أن يعينك، فلابد أن تستعين بالله ﷻ فقط. وبالاستعانة بالله ﷻ نستغني عن الاستعانة بالخلق، وكمال غنى العبد في تعلقه بربه، ومن ترك الاستعانة بالله ﷻ واستعان بغيره وكله الله ﷻ إلى من استعان به فصار مخذولًا، والأنبياء أمروا أقوامهم بالاستعانة بالله ﷻ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾[الأعراف:١٢٨]، وكما في هذا الحديث: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

يقول ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: «بقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه إلى من لا يضره ولا ينفعه، وكذلك الخوف من غير الله ﷻ».

ثم قال: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]).

الاستعاذة: هي الالتجاء، السين أيضًا هنا للطلب مثل الاستعانة، السين للطلب هي الالتجاء والاعتصام والتحرز. الاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام والتحرز وحقيقتها الهرب من شيءٍ تخافه إلى من يعصمك منه. وهي التجاء إلى الله ﷻ والاعتصام به واعتقاد كفايته واعتقاد تمام حمايته من كل شر.

وهي أيضًا كما قال المؤلف هي عبادة من العبادات العظيمة في ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾[الأعراف:٢٠٠]

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، الفلق: هو الصبح، أي قل أعوذ برب الصبح فهو الذي يأتي بالصبح، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ الاستعاذة بالله ﷻ كما قلنا عبادة من العبادات، والاستعاذة يجب أن يداوم عليها العبد لأن العبد ليس بيده شيء هو محتاج إلى الله ﷻ في كل شيء فإن استشعر العبد في لحظة من اللحظات أنه مستغني عن الاستعانة بالله ﷻ أو عن الاستعاذة به فهذا هو هلاكه.

إن استشعر في لحظة من اللحظات أنه مستغني عن الالتجاء به والاستعانة به والاستعاذة به فهذا هلاكه في دينه ودنياه، لأن العبد ليس بيده شيء، فلذلك يجب أن يداوم، يكون دائم الالتجاء والاستعانة والاستعاذة بالله ﷻ.

ثم قال: (**وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ**) الاستغاثة أيضًا السين هنا للطلب، الاستغاثة طلب الغوث، وهو طلب الإنقاذ من الضيق والشدة، يقول ابن القيم رحمه الله: «الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر» يعني الفرق بين الاستعاذة والاستغاثة، أن الاستعاذة كما ذكرنا طلب العصمة وأن يمنعك وأن يحصنك، أما الاستغاثة فطلب إزالة ما حل بك.

تستغيث به أن يزيل ما بك من الشدة، هذه هي الاستغاثة.

والاستغاثة تتضمن كمال الافتقار إلى الله ﷻ، وأيضًا كمال اعتقاد كفايته مثل الاستعانة، لابد أن تعتقد أن الله ﷻ يكفيك ولذلك تستغيث به.

لا تستغيث به وبالبدوي لأنك متردد، أو تقدم البدوي ثم تذكر الله ﷻ، لا، لابد أن تعتقد أن الغوث بيد الله ﷻ، هو الذي يزيل ما بك من الكرب والشدة، وتعتقد هذا اعتقادًا جازمًا، أما إذا استعذت به وأنت تشك فهذه ليست عبادة بل هذه ترجع عليك، لأن إيمانك بالله ﷻ ليس بذاك.

فلابد أن تكون في استغاثتك بالله ﷻ في كمال الافتقار إليه وأيضًا لابد أن تعتقد اعتقادًا جازمًا أنه

يكفيك.

(﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩])، الفاء دائمًا يأتي هذا الحرف يأتي للتعقيب مع الوصل، فرق بين الفاء وثم، ثم وفاء كلاهما يأتيان للتعقيب، ولكن الفاء مع الوصل وثم مع الفصل.

(﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾) أي استجابته لكم كانت بعد استغاثتكم به مباشرة، لم يقل: ثم استجاب لكم، فاستجاب لكم. الاستجابة كانت مقرونة بالاستغاثة، كما قلنا الفاء يأتي للتعقيب مع الوصل.

(﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾) فالاستجابة من الله عَزَّوَجَلَّ كانت مقارنة أو كانت مباشرة بعد الاستغاثة.

ثم قال: (ودليل الذبح قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]). يقول الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه قل إن صلاتي ونسكي، طبعًا هنا ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ ذكر أربعة أمور، وذكر بعدها لله، اللام هنا في لله يختلف بالنسبة للأمرين الأولين وبالنسبة للأمرين الآخرين.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾: اللام هنا للاستحقاق فصلواتنا وأيضًا النسك عبادتنا المالية هذه كلها، من يستحقها؟ يستحقها الله عَزَّوَجَلَّ فقط. مثل ما ذكرنا في الحمد لله، اللام هنا للاستحقاق.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ لله استحقاقًا فلا يستحقها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾؛ أي حياتي وموتي لله ملكًا، اللام هنا للملك. إن صلاتي ونسكي هذه تدخل في توحيد الإلوهية، محياي ومماتي لله هذا يدخل في توحيد الربوبية، بيده حياتي وبيده موتي.

وهناك أيضًا معنى آخر: محياي أي كل ما آتيه في حياتي، ومماتي أي ما أدخره عند الله عَزَّوَجَلَّ بعد مماتي، وبذلك يكون كله من توحيد الألوهية.

(﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٣]) هذا تأكيد «وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين».

وقوله: (وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»)، الحديث أخرجه الإمام مسلم، «لعن الله» واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ﷻ، فلعن الله من ذبح لغير الله».

وقوله: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧])، قوله: (مستطيرًا)؛ أي منتشرًا وقاسيًا علىٰ الناس إلا من رحم الله.

قوله: (﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾) هنا الله ﷻ مدحهم بأنهم يوفون بالنذر، والمدح يدل على أن الله ﷻ يحب هذا الشيء، ونحن ذكرنا في تعريف العبادة أنها كل ما يحبه الله ﷻ من الأقوال والأفعال والأعمال. كل ما يحبه الله ﷻ فهو عبادة.

والنذر في بدايته ليس مستحبًا، ولكن إذا نذرت نذر الطاعة فيجب أن تفي به. ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

وبذلك نكون انتهينا من الأصل الأول الذي هو معرفة العبد ربه.

وقد لاحظنا أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ركز في هذا الأصل على قضية العبادة لأن أكثر الانحرافات الموجودة في عصره وكذلك في عصرنا نحن هي في توحيد العبادة، والانحراف في باب توحيد العبادة يكثر في العوام، والانحراف في توحيد الأسماء والصفات يكثر في العلماء. وهذا شيء ملاحظ، تجد الناس بالذات العوام في توحيد الأسماء والصفات تجدهم على الفطرة، إذا قيل لأحدهم أن الله عَزَّوَجَلَّ ليس داخل العالم وليس خارج العالم وليس يمينًا وليس شمالًا وليس فوق وليس تحت، لاستبشع هذا، مع أن هذا هو الذي يقرر في كتب الكلام.

فالعامة يقول لهم يستغرب يعني أي دين هذا؟

الله عَزَّوَجَلَّ فوق العرش ونحن نتوجه إليه في علوه، أليس كذلك؟ وعلى هذا فِطَرُ الناس.

فتجد الناس في توحيد الأسماء والصفات على الفطرة، ولكنه في توحيد الإلوهية تجد انحرافا فيهم كبيرًا، ركز على قضية العبادة لأن من فهم العبادة وفهم حقيقة العبادة وأفردها لله عَزَّوَجَلَّ بإذن الله يكون موحدًا خالصًا لأن من يفرد الله عَزَّوَجَلَّ ويوحده بالعبادة يكون قبل ذلك موحدًا توحيد الإلوهية، وتوحيد

الأسماء والصفات. فيكون هذا توحيده كاملًا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الإمام محمد عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى الأصل الثاني: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ ﴿لا إله﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلا اللهُ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ -٢٧]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ

وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال الشّارح وفّقه الله:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة. كما عرفنا هذه ثلاثة أصول، الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، الأصل الأول كما عرفنا معرفة العبد ربه، الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهذا القيد لابد منه لأن بهذه الأدلة يكون الإنسان على بصيرة وبرهان وعلى نور من الله عَزَّوَجَلَّ وأما من قلد في عبادته غيره دون أن يسأل عن الدليل فقد يكون ما يأتيه خطأ لا يدري عنه وقد لا يكون.

أما الطمأنينة ومعرفته باليقين أنه فعلًا هذه عبادة، فهذا يكون بالدليل، ولذلك كما عودنا الإمام محمد يذكر الدليل لكل ما يذكره، كل ما يذكره يردفه بذكر الأدلة، فلذلك لم يكتفي بقوله معرفة دين الإسلام بل ذكر بالأدلة.

والأدلة هي تنحصر في كما ذكر علماء الأصول الأدلة على قسمين: أدلة شرعية أصيلة وأدلة شرعية تبعية.

أما الأدلة الأصيلة فهي الكتاب والسنة فقط. أما الأدلة التبعية فهي عديدة منها الإجماع ومنها القياس، ومنها أيضًا أدلة اختلفوا فيها: المصالح المرسلة، إبقاء ما كان على ما كان، أدلة كثيرة ولكن

أشهرها الإجماع والقياس.

والإجماع لا يكون إلا على دليل في الراجح من أقوال العلماء أن الإجماع يكون مستنده دليلًا، الإجماع المجرد ليس دليلًا، إذا أجمعوا على شيئًا دون أن يستندوا على دليل فهذا ليس حجة، ولكن الإجماع الذي هو حجة أن يكون مستندًا على دليل.

ولكن قد يكون الدليل ظنيًا في دلالته أو ظنياً في ثبوته فيتقوى بالإجماع هذه من فوائد الإجماع. قد تكون دلالة الدليل دلالته على أكثر من معنى فإذا وقع الإجماع على معنًا منها فيكون هذا هو المتعين لا يجوز خلافه، أما القياس فهو في الحقيقة شعبة من شعب الاجتهاد، الاجتهاد يكون في النصوص، ومن طرق الاجتهاد القياس، لأن القياس هو إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكم لعلة جامعة بينهما.

فأركانه أربعة: إلحاق فرعٍ بأصلٍ. إذًا لابد من الفرع الذي تبحث عن الدليل له، إلحاق فرعٍ بأصلٍ. والأصل الذي تُلحق به الفرع هذا الأصل لابد أن يكون عليه دليل واضح حتى تلحق الفرع بالأصل. إلحاق فرعٍ بأصلٍ في ماذا؟ في حكم. الحكم الذي ثبت للأصل تنقله إلى الفرع، لماذا؟ لعلة جامعة بينهما. وهذه العلة إذا كانت منصوص عليها فهذا القياس لم يختلف فيه أحد.

حتى ابن حزم الذي عُرف عنه أنه ينكر القياس إذا كانت العلة منصوصة فلا يختلف فيها أحد، أما إذا كانت العلة اجتهادية فهناك من يقول بالقياس، وهناك من لا يقول بالقياس والصحيح القول بالقياس؛ لأنه كما قلت: نوع من أنواع الاجتهاد، ويتوقف الأمر في قوته وضعفه بالنظر إلى العلة.

العلة: قد تكون ليست علة واضحة ظاهرة قد يذهب إليها بعض الناس، وقد لا يذهب إليها بعض الناس، أما العلة إذا كانت قوية والمناسبة ظاهرة فهذا القياس يكون قويًا.

وهناك قياسٌ آخر يُسمى القياس بنفي الفارق، وهذا القياس أيضًا يقول به الجميع، القياس في حقيقته ليس دليلًا جديدًا فلذلك نحن سمينا هذه الأدلة كلها ما عدا الكتاب والسنة سميناها ماذا؟ ها؟ تبعية، والدليل الذي هو دليل لا يحتاج إلى دليل آخر إن ثبت هو الكتاب والسنة وهذه هي الأدلة الأصيلة.

فمعرفة دين الإسلام بالأدلة، وهذه هي الأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، هكذا عرف الإمام محمد عرف الإسلام.

الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد لابد أن تستسلم له بأن تفرده بجميع أنواع التوحيد وما يتعلق بالتوحيد سبق أن ذكرنا ولكن الشيخ هنا سيعيد التعريف به بمناسبة الركن الأول الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله.

فالاستسلام له بالتوحيد؛ أي أن يستسلم العبد لله عَزَّوَجَلَّ بإفراده بجميع أنواع التوحيد، والإسلام مأخوذ من الاستسلام، فلذلك إذا جاءك دليل فلا ينبغي أن تعمل فيه عقلك كما نجد عند كثير ممن هم مثقفون أو أنصاف المثقفين الذين ينصبون أنفسهم مجتهدين، بل ينصبون أنفسهم حكماء على المجتهدين.

يبدأ يبحث في الأدلة الشرعية، والأدلة تكون واضحة فيقول لك: هذا يوافق العقل أو لا يوافق العقل، الإسلام مأخوذ من الاستسلام لابد أن تذعن وتستسلم للدليل إذا كان الدليل واضحًا، فلا يجوز لك أن تبحث فيه وأن تعترض فيه بعقلك، مع أنه مع حمد الله عَزَّوَجَلَّ يعني ليس في الإسلام شيء يخالف العقل، هذا خذها قاعدة، ليس في الإسلام شيء يتعلق بالعقيدة ويتعلق بالأعمال ويتعلق بأي شيء يخالف العقل، لا يوجد هذا.

إلا أن بعض العقول قد تستشكل بعض الأحكام فالواجب عليها أن تستسلم، أن تذعن لما جاء في الدليل.

قوله: (**الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**) الانقياد: هو الإذعان فيفعل جميع المأمورات ويحذر جميع المنهيات امتثالًا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور:٥٤].

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**». الحديث متفق عليه.

إذا الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، البراءة من

الشرك وأهله هذا داخل في مفهوم لا إله إلا الله لأن لا إله إلا الله كما سيأتي شرح المؤلف نفسه.

لا إله إلا الله فيها ركنان: ركن فيه إثبات وركن فيه نفي، فكلمة التوحيد مبنية على ركنين لا يحصل التوحيد ولا يتحقق إلا بهما معًا النفي والإثبات.

والبراءة من الشرك وأهله هذه تدخل في مفهوم لا إله إلا الله، فلابد أن يتبرى من الشرك وأهله ولابد أن يحب كلمة التوحيد وأهلها، وهذا هو الولاء والبراء.

يوالي على هذه الكلمة ويعادي على هذه الكلمة. ولاؤه وبراؤه يكون على الدين وعلى هذه الكلمة.

ثم يقول: وهو ثلاث مراتب، الدين الإسلام ثلاث مراتب. الإسلام، والإيمان، والإحسان.

المرتبة الأولى: الإسلام، والمرتبة الثانية: الإيمان، والمرتبة الثالثة: الإحسان.

والمسلمون أو أهل هذا الدين لا تخلوا حالاتهم من إحدى هذه المراتب الثلاثة، أدنى هذه المراتب الإسلام، وأعلى منها الإيمان وأعلاها جميعًا الإحسان، لأن الإحسان يجمع محاسن المرتبتين الأوليين، والإحسان هو عبارة عن الإتقان، إتقان العمل، أيضًا الإيقان في الاعتقاد فهو يجمع محاسن المرتبتين الأوليين فلذلك هو أعلى المراتب.

وكل مرتبة لها أركان، طبعًا هذه الأركان مأخوذة أيضًا من الأدلة، ليس لنا أن نقول أن هذا وذاك له أركان إلا بالدليل، وسيذكر الأدلة.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، لا إله إلا الله بحق، لا إله إلا الله، لا إله بحقٍ إلا الله. لا هذه النافية للجنس، إله اسم، وبحق خبر. لا إله بحق إلا الله.

وأن محمدًا رسول الله، كما أشرنا هذه الكلمة، هذه الشهادة كلمة الشهادة فيها ركنان: النفي والإثبات. والإلوهية أيضًا نعلق عليها عند قول الإمام محمد لا إله نافيًا جميع ما يعبد من دون الله.

فدليل الشهادة هو إقام الصلاة وكل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. وهذه

خمسة، هذه أركان الإسلام الخمسة.

فدليل الشهادة الآن، بدأ يستدل لكل ركن، فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلـه إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ أي الملائكة أيضًا شهدوا، ﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ أيضًا شهدوا، ﴿قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾ قائمًا هذا منصوب على الحال، شهد قائمًا بالقسط والقسط هو العدل. أي قائمًا بالعدل في جميع الأحوال، ﴿لاَ إِلـه إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨].

يقول ومعناها: لا معبود بحق، معنى الإلوهية لا معبود بحق. ليس معناها لا خالق إلا الله، أو لا قادر إلا الله كما يذكره المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية يقولون الألوهية، معناها عندهم القدرة على الاختراع، الألوهية يرجعونها إلى الربوبية ولا يفرقون بين الربوبية والألوهية.

وهذا كان من المداخل التي من خلالها دخل المشركون الخرافيون المتأخرون في أبواب الشرك، لأن مادام الألوهية والربوبية شيء واحد، ومن أقر بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ يكون مؤمنًا موحدًا، والألوهية خصائصها وتعريفها لا تذكر في كتب العقائد.

من هذا الباب لما جاء الشيخ محمد وركز على الألوهية قالوا: هذا جاء بدين جديد، مع أن الفرق بين الربوبية والألوهية الفرق بينهما لغة وشرعًا فرق واضح جدًا لأن الألوهية مأخوذة من أَلِهَ يَأْلَهُ وأَلَهَ يَأْلَهُ إذا عُبد الله عَزَّوَجَلَّ مع الخوف والرجاء والحب. أَلَهَ يَأْلَهُ أُلوهَةً وإلاهة وألوهية. أَلَهَ وأَلِهَ يَأْلَهُ بمعنى العبادة.

أما الربوبية فمعناها ترجع إلى التدبير والتصرف والملك، كل ما يرجع إلى هذه المعاني فهي داخلة في معاني الربوبية.

فهذا المعنى هو الذي يعرفه أيضًا العرب، الألوهية عند المشركين هي العبادة، ولذلك كانوا يستنكرون أن يفرد الله عَزَّوَجَلَّ وأن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، ويعبدون الله عَزَّوَجَلَّ ويعبدون غيره.

أما الربوبية كما ذكرنا مرارًا كانوا يفردون الله عَزَّوَجَلَّ بالربوبية، يوحدونه بالربوبية من حيث الجملة.

الألوهية بمعنى العبادة ولها شواهد كثيرة من لغة العرب منها قول أحدهم: لله در الغانيات المدهي،

المدهي بمعنى التي تَمدَحُ، سبحن واسترجعن من تألهي. من تألهي أي من عبادتي، فالألوهية بمعنى العبادة.

ولذلك هذا النوع من التوحيد يسمى تسميات كثيرة منها توحيد العبادة، ومنها توحيد الألوهية.

(**فلا إله**) معناها لا معبود بحقٍ إلا الله، أما المعبودات الباطلة التي تعبد من دون الله ﷻ فهذه باطلة، هذه ليست آلهة حقًا.

لا النافية للجنس وهي تحتاج إلى جنس خبر، اسمها إله، لا إله، إله اسم لا. والخبر محذوف، وهذا الخبر كل يقدره حسب اعتقاده، فمن يعتقد الاتحاد والحلول يقول لا إله موجودًا إلا الله. أن كل ما هو موجود فهو إله عندهم.

والمتكلمون يقدرونه أيضًا حسب اعتقادهم أنه بمعنى الربوبية، ولكن الصحيح أن نقدر ما يدل وتدل عليه الكلمة نفسها، لا إله بحقٍ إلا الله.

يقول المؤلف: (**لا إله**)، نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، لا إله هذه اللاء تسمى (لا النافية للجنس) لا استثناء فيها تنفي كل ما هو في اسمها، لا إله.

(**إلا الله**) لا إله بحقٍ إلا الله. إذًا فيها نفي جميع ما يعبد من دون الله ﷻ، و(إلا الله) مُثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له، لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه وهنا يشير إلى العلاقة بين توحيد الألوهية والربوبية، كما أنه لا شريك له في ملكه وهذا توحيد الربوبية، كذلك لا شريك له في عبادته.

وهنا كما ذكر الشيخ الكلمة هذه كلمة الشهادة فيها ركنان: الركن الأول: النفي، الركن الثاني: الإثبات.

والنفي المطلق: هو التعطيل، والإثبات المجرد لا يمنع المشاركة. ولذلك لابد من هاذين الركنين.

الذي يقول: (**لا إله**) ما أثبت شيئًا هذا عطل، الذي يقول الله معبود، الله إله هذا في كلامه ليس فيه منعًا للمشاركة، مثل المشركين الذين يعتقدون ألوهية الله ﷻ بمعنى أنهم يعبدونه ويعبدون غيره.

فمتى يتم التوحيد؟ بالركنين: بالنفي وبالإثبات. نفي جميع ما يعبد من دون الله ﷻ وإثباته لله ﷻ

فقط. وكما قلنا النفي المجرد تعطيل، والإثبات المجرد لا يمنع المشاركة.

(**لا إله**): أله يأله إلاهة وإلوهية بمعنى العبادة، وهذه العبادة تكون مع الخوف والرجاء والحب.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى، لا زال في تفسير كلمة لا إله إلا الله.

يقول: تفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ يوضحها يفسرها، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ براء أي إنني بريء وإنني مبغض ومعادٍ لكم ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦]، إنني براء مما تعبدون فيها معنى لا إله. لأن لا إله فيها البراءة من الشرك وأهله.

وقوله: (﴿**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف:٢٧])؛ أي أل الذي خلقني فإنه سيهدين. هذا فيه معنى إلا الله، وفيها هذان الركنان النفي والإثبات، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨] جعلها" أي جعل إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام جعل كلمة التوحيد وما تضمنته من الإخلاص جعلها كلمة باقية في عقبه في نسله وذريته لعلهم يرجعون إليها.

فمعنى كلمة لا إله إلا الله معناها إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة والتبرؤ من كل معبود غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك يُعبِّر عنه الإمام: بالبراءة من الشرك وأهله.

وقوله: (﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ**﴾[آل عمران: ٦٤]) هذا أيضًا فيه معنى لا إله إلا الله (﴿**وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ**﴾[آل عمران: ٦٤]) الحكم لمن؟ الحكم لله عَزَّوَجَلَّ فقط، ومن يعتقد أن غير الله عَزَّوَجَلَّ أيضًا له الحكم فقد أشرك في ربوبيته، لذلك يقول: (﴿**وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ**﴾[آل عمران: ٦٤])؛ أي يعتبر أن لهم الحكم ويطيعهم.

(﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤]) بالنسبة للحاكمية اعتقاد أن الحكم لله عَزَّوَجَلَّ هذا من توحيد الربوبية.

نحن قلنا إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله هذا توحيد الربوبية، والاعتقاد أن الحكم لله عَزَّوَجَلَّ هذا توحيد الربوبية، أما امتثالك لأحكام الله عَزَّوَجَلَّ وتحكيمك لشرع الله عَزَّوَجَلَّ هذا يدخل في توحيد الألوهية لأن هذا

عمل، احتكامك إلى الشريعة واحتكامك إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإلى سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا عمل، وبذلك يدخل في توحيد الألوهية.

ومن يجعل هذا قسمًا مستقلًا فهذا تقسيمه يكون مضطربًا لأن الحاكمية كما قلنا بالنظر إلى الحكم داخل في توحيد الربوبية، وبالنظر إلى عملك وهو الاحتكام إلى الشرع فهو داخل في توحيد الألوهية.

(﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤]) أي أنتم لستم مسلمون لأنكم توليتم وما أذعنتم. ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله، طبعًا هاتين الآيتين ذكرهما الإمام محمد؛ لبيان أن البراءة من الشرك داخل في حقيقة أن لا إله إلا الله.

البراءة من الشرك داخلةٌ في حقيقة معنى (لا إله إلا الله).

وقوله: (وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨])، قوله: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)؛ أي يشق عليه كل أمرٍ يحرج أمته، يدخلهم في العنت، كل أمرٍ يشق عليهم، هذا يشق عليه أيضًا، (﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]) حريص عليكم» على هدايتكم وعلى إنقاذكم من النار.

(﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي عطوف عليهم ويحب لهم كل خير. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن الأدلة أيضًا: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٤٣]. والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أيده الله جَلَّوَعَلَا بالدلائل التي تسمى دلائل النبوة، أيده الله جَلَّوَعَلَا بأدلة كثيرة جدًا منها الآيات التي فيها خرق للسنن الكونية ومنها ما تتعلق بحاله هو، ومنها ما تتعلق بحال شريعته ودينه، ومنها ما يتعلق بإخباره عن الأمم الماضية، ومنها ما يتعلق بإخباره عن المغيبات المستقبلة. وهذه كلها أدلة على صدق نبوته.

والأنبياء كلهم الله عَزَّوَجَلَّ يعطيهم من الآيات والأدلة ما يكون كافيًا لتصديقهم، ولكن الآيات والأدلة

التي أعطيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي كثيرة جدًا لذلك ألف العلماء قديمًا وحديثًا في دلائل النبوة وأعظم ما ألف في هذا الباب دلائل النبوة للإمام البيهقي، طبع تقريبًا أظن في ست مجلدات أو سبع مجلدات. «دلائل النبوة».

وقوله: (وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]).

وكما قلنا الأدلة على ذلك كثيرة، والمؤلف هنا يقتصر على دليل أو دليلين لأن الكتاب كما عرفنا مختصر.

وقوله: (وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَر، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ)، هذا تعريف جامع ومانع لتعريف شهادة أن محمدًا رسول الله.

قوله: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ)، كل ما أمر به لابد أن تطيعه.

قوله: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ)، كل ما أخبرك به تصدقه ولا تقول هذا يقبله العقل وهذا لا يقبله العقل.

وقوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَر)، كل ما نهى عنه وزجرك عنه لابد أن تجتنبه.

وقوله: (وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ)، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الطريق الوحيد إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليس هناك طريق غيره،

ما يقوله بعض الناس: حدثني قلبي عن الله عَزَّوَجَلَّ هذه كلها خرافات، الباب الوحيد إلى معرفة الله عَزَّوَجَلَّ وإلى معرفة توحيده ومعرفة ما يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ ومعرفة ما يتعلق بالدين هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط. وألا يعبد الله إلا بما شرع.

وقوله: (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥])؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة قاصدين بذلك وجه الله فقط، وقاصدين بذلك طلب الزلفى لديه فقط.

قوله: (﴿حُنَفَآءَ﴾)؛ أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، (﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾) إقامة الصلاة تختلف عن أداء الصلاة، إقامة الصلاة تكون بإقامة أركانها وواجباتها في أوقاتها. والصلاة هي أشرف عبادات البدن.

وقوله: (﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾): المراد بها الزكاة المفروضة وفيها إحسان إلى الفقراء والمحتاجين، وخص هنا الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، لأن العبادة تشتملُ على الصلاة والزكاة والحج وغيرها، ولكن هاتين العبادتين خُصتا بالذكر هنا؛ لمزيد فضلهما ولمزيد شرفهما.

وقوله: (﴿وَذَلِكَ﴾)؛ أي التوحيد والإخلاص في الدين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥])؛ أي ذلك الملة القائمة والشريعة العادلة المستقيمة.

وقوله: (ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]).

الصيام في شهر رمضان هذا أحد أركان الإسلام الخمسة.

قوله: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾) كتب: معناها فرض، (﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾) في شهر رمضان (﴿كَمَا كُتِبَ﴾) أي كما فرض (﴿عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾) أي على الذين مضوا وسلفوا من قبلكم. (﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾)؛ أي لعلكم تصلون إلى تزكية النفس وتطهيرها وتنقيتها من الأخلاق الرديئة.

هنا الله عَزَّوَجَلَّ ذكرَ أن الصيام فَرْضٌ علينا، هذا أولًا وذكر أيضًا أن الصيام فُرِضَ على الذين من قبلنا، حتى لا نستثقل هذه العبادة، الله عَزَّوَجَلَّ يبين أنكم لستم أنتم الوحيدين الذين كتب عليكم، هذا الفرض كان عليكم وعلى من قبلكم.

(﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) فيه بيان الحكمة من فرضية الصيام، وهذه الحكمة هي عامة في جميع العبادات، وهي الحصول على التقوى.

وقوله: (ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ

الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]).

قوله: (﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾)؛ أي: يجب على الناس أن يتعبدوا لله ﷻ بالحج.

(﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾)؛ أي: قصد البيت الحرام.

(﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾)؛ أي من استطاع أن يصل إليه، (﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾) بيَّن الله ﷻ أن الذي ينكر الحج والذي لا يحج وهو يستطيع فهذا قد يوقعه في الكفر.

(﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾) الله ﷻ فرض العبادات ليس لأنه يستكمل بها وليس لأنه يزيد فضلًا بها وإنما لنستكمل بها نحن ولنستفيد منها نحن، أما الله ﷻ فهو غني عن العالمين. (﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَدَلِيلُ القَدَرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ-رُكْنٌ وَاحِدٌ-وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَومٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.

قال الشارح وفقه الله:

قوله رحمه الله: (المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً).

طبعًا هذا نص الحديث: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»، أشار إلى هذا الحديث بخصوصه في حديثه عن الإيمان ليدل بذلك إلى أن المراد بالإيمان هنا ليس هو الإيمان الذي ورد في حديث جبريل، لأن الإيمان الذي ورد في حديث جبريل هو بإطلاق خاص، فالإيمان له إطلاقان: إطلاق عام، وإطلاق خاص.

الإطلاق العام هذا تعريفه الذي يشمل الأقوال والأعمال، الأعمال القلبية: عمل اللسان، وقول اللسان، وعمل الأركان)، والاعتقاد بالجنان، أما الإيمان بالإطلاق الخاص فهو الذي يُذكر في مقابل الإسلام، فإذا ذكر الإيمان والإسلام في موضع واحد افترقا، فيشمل الإيمان ما ورد في حديث جبريل وكلها أعمال قلبية، ويشمل الإسلام الأعمال الظاهرة، هذا إذا اجتمعا، ولذلك يقال عن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا ذكر الإيمان لوحده فهو يشمل الإسلام وهذا تعريفه الذي أشار إليه الإمام هنا، أشار إلى تعريفه بذكر هذا الحديث، وهذا الحديث من الأحاديث التي هي نصٌ فيما يذهب إليه أهل السنة من أن

الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، فالإيمان الذي نعني به هنا المرتبة الثانية هو الذي يشمل الأقوال والأعمال والاعتقادات، وكما يقول أهل السنة في تعريفه: **هو تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان**، وفي هذا الحديث: « **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا**» وفي رواية: «**أَعْلاَهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

إذًا شُعَبُ الإيمان كثيرة هي بضع وسبعون أو بضع وستون، وقد اجتهد العلماء في حصر شعب الإيمان وأَلَّفُوا فيه مؤلفات قيمة جداً، وممن أَلَّفَ في ذلك الحُليمي شيخ الإمام البيهقي، وممن ألف في ذلك أيضاً الإمام البيهقي وكتابه «**شعب الإيمان**» هذا أفضل ما أُلِّفَ في هذا الباب، لا أقول من أفضل بل هو أفضل وأحسن ما أُلِّفَ في هذا الباب، فيذكر شعب الإيمان القولية والعملية والاعتقادية ويستدل لكل شعبة بأدلة عامة وخاصة.

إذًا الإيمان شعبه كثيرة، من شعب الإيمان أركان الإيمان التي ستأتي وهذه تسمى أركان الإيمان، لأن الإيمان لا يقوم إلا بها، إذاً هذه الشعب من الشعب التي ينتفي الإيمان بانتفائها.

إذًا شعب الإيمان تختلف منها ما ينتفي الإيمان بانتفائها، ومنها ما يُكَمَّلُ الإيمان بها، فهي مكملات الإيمان، ومنها هو بين ذلك.

الشعبة الأخيرة هنا: «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**» هذه من الشعب التي لا ينتفي الإيمان بانتفائها وإنما هي من مكملات الإيمان.

قوله: (**أَعْلاَهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، هذه الشعبة تتعلق بالشعب القولية، وهذه الشعبة التي هي شهادة أن لا إله إلا الله بها يدخل المرء الإسلام، وهذه الشهادة تكون بالقول ولابد أن يأتي بها من يدخل في الإسلام، فمن كان موقنًا بقلبه وعاملًا أيضًا بجوارحه ومع ذلك لم يأتي بهذه الشهادة ولم ينطق بها نطقًا فهذا ليس مؤمنًا.

ومن كان موقنا أيضًا بقلبه وقال أيضًا بهذه الشهادة وجاء بها ولكنه لا يعمل فهذا ليس مؤمنًا، والمراد بالعمل هنا كما ذكره عدد من العلماء جنس العمل، كما يقول العلماء: لابد في الإيمان من إسلام

يصححه، ولابد في الإسلام من إيمان يقوم عليه الإسلام.

فلابد من العمل، وكذلك ركن الاعتقاد من نطق باللسان وتشهد بالشهادتين وعمل بالأركان ولكنه ليس موقنًا بقلبه ليس مصدقًا بقلبه فهذا إيمانه لا يعتبر.

إذًا الإيمان عند أهل السنة ثلاثي، قول باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان.

قوله: («وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»)، هذا يتعلق بالشعب العملية.

قوله: («وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»).

هذا يتعلق بالشعب القلبية، وهذه الشعبة هي من شعب الإيمان، وبما أن الحياء يجمع شعبًا كثيرة وبذهابه تذهب شعب كثيرة فلذلك أفردها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذكر وأشار إليها بخصوصها.

إذًا في حديث واحد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يشمل أعمال الإيمان كلها، قلبيها وما يكون باللسان وما يكون بالجوارح.

إذًا هذا الحديث من أجمع ما استدل به أهل السنة فيما يذهبون إليه من أن الإيمان هو قول وعمل، أو هو اعتقاد وقول وعمل.

والحديث متفق عليه، وطرق أهل البدع في رده لا تخلوا من المكابرة، ومن ذلك ما ذكره أبو المعين النسفي وهو من أئمة الماتريدية ومن كبارهم، توفي سنة (٥٠٨) نقل كلامه ابن أبي العز في شرحه للطحاوية يقول: «أول ما يُرَدُ به هذا الحديث: أن الراوي لم يضبط هي بضع وسبعون أو بضع وستون، لم يضبط هنا، هذا يدل على أنه إذا كان هو ما ضبط فيكف يَلزَمُ غيره»، هكذا يقول.

يا سبحان الله! إذا كنت بهذا الورع وبهذا الاحتياط إذًا فخذ أقل العددين منهم، الشك لا يخرج عن العددين، وهذه طرق أهل البدع التي بها يدفعون النصوص ولسان حالهم يقول: تُدْفَعُ هذه النصوص بأي طريقة سواءٌ كان معقولًا أو غير معقول.

إذاً هذا الحديث كما قلنا الذي ضمنه الإمام حديثه من أجمع ما ورد في الإيمان.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَدَلِيلُ القَدَرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]).

قوله: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ)، هذه الأركان، والركن كما تعرفون هو الذي يقوم عليه الشيء، كالجدار بالنسبة لهذا البناء، ومعنى الركن هنا هو معنى اصطلاحي، فمن لم يؤمن بهذه الأركان أو بأي ركن منها أو شك في ذلك وارتاب في ذلك فليس مؤمنًا.

قوله: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ)، الإيمان بالله ﷻ يتحقق بتحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، تؤمن بوجود الله ﷻ، وتؤمن بربوبيته، وتؤمن أيضاً بألوهيته، وبأسمائه وصفاته.

قوله: (وَمَلائِكَتِهِ)، الإيمان بالملائكة أن تؤمن بوجودهم أولاً، لأن الملائكة عالم غيبي ليس لنا طريق إليهم إلا الوحي فلابد أن نؤمن بوجودهم، ولابد أيضاً أن نؤمن بأنهم قد خلقوا من نور، ولابد أن نؤمن أيضاً أنهم مكلفون وأنهم عباد مُكرمون وليسوا آلهة، فليس لهم من الألوهية في شيء، هم مُكلفون، ونؤمن أيضاً بهم تفصيلًا فيما ورد فيه تفصيل، وإجمالاً فيما لم يرد فيه تفصيل.

يقول: (وَكُتُبِهِ)، جميع الكتب التي أنزلت إلى الرسل نؤمن بها تفصيلاً فيما ورد فيه التفصيل وإجمالاً فيما لم يرد فيه التفصيل، فمثلًا: نؤمن بأن التوراة أنزلت على موسى، وأن الزبور أنزلت على داود، وهكذا، ونؤمن أيضاً بالكتاب الأخير الذي هو القرآن، فنؤمن بأنه منزل على النبي ﷺ ويجب علينا أن نمتثل كل ما فيه، فالإيمان به يكون بالتفصيل.

قوله: (وَرُسُلِهِ)، الإيمان بالرسل أيضًا إذا ذكر الرسل فيدخل فيهم الأنبياء، الإيمان بالرسل أيضاً نؤمن بأنهم كلهم صادقون ومصدقون، وأنهم لم يخونوا رسالتهم، وأنهم أدوا ما أرسلوا به، وأنهم كلهم عباد ليس لهم من الربوبية والألوهية شيء، وأيضاً الإيمان بهم إجمالي فيما لم يرد فيه تفصيل، وتفصيلي فيما ورد فيه تفصيل.

قوله: (وَاليَوْمِ الآخِرِ)، واليوم الآخر يبدأ بعد الموت مباشرة، فالموت ومقدماته كلها تدخل في الإيمان باليوم الآخر لأن من مات فقد قامت قيامته، وما يتعلق بالخبر، والبرزخ، وما يتعلق بالبعث، وما

يكون من أهوال يوم القيامة، فهذه كلها تدخل في اليوم الآخر.

قوله: (**وَالقَدَرِ**)، القدر يأتي بمعنيين: يأتي بمعنى التقدير، وهذا فعل لله ﷻ فهو سبحانه يقدر، ويأتي بمعنى المُقدَّر وهو أثر التقدير، فالتقدير فعل والمُقدَّر مفعول لله ﷻ، فالإيمان بالقدر يكون بالمعنيين: نؤمن بأن الله ﷻ قدر المقادير كلها، ونؤمن أيضًا بأن ما قدره يكون، ولابد أن يكون.

والإيمان بالقدر خلاصته: أن تؤمن بأن كل ما يكون في العالم أن الله ﷻ عَلِمه، وكتبه، وشاءه، وخلقه، فليس في الكون شيء لم يكتبه الله ﷻ أو لم يعلمه.

وأركان الإيمان بالقدر أربعة: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، فنؤمن بأن الله ﷻ علم كل شيء بالتفصيل، وكتبه حسب ما علمه، وشاءه، وخلقه حسب مشيئته.

قوله: (**خَيْرِهِ وَشَرِّه**)، القدر: بمعنى التقدير لا يكون إلا خيراً لأنه فعل الله ﷻ أما القدر بمعنى المقضي والمُقَدَّرُ والمَقْدُوْرُ فقد يكون فيه شر بالنسبة إلى المخلوق، فالله ﷻ لا يقدِّرُ إلا خيراً ولا يقضي إلا بخير، ولكن ما قدَّره قد يكون بالنسبة لبعض الناس شراً، فمثلًا: الله ﷻ خلق الحيات، وهي من مخلوقاته وهذا المخلوق قد يضر بعض الناس فيكون بالنسبة إليه شراً، أما الله ﷻ لماذا خلقه؟ نحن ما ندري عن الحِكَم التي لأجلها الله ﷻ خلق هذا المخلوق وغيره، فالشر الذي ذكر هنا هو بالنظر إلى المخلوق، أما فعل الله ﷻ وتقديره، وقضاءه، فلا يكون إلا خيراً.

ومن الأدب ألا تنسب إلى الله ﷻ الشر لوحده مع أنه هو الذي خلقه، فهذا الذي هو شر بالنسبة لك لم يخلقه إلا الله ﷻ، لأنه كما قلنا في القدر نؤمن بأن كل شيء مخلوق لله ﷻ ومن ذلك ما هو شر بالنسبة لك، ولكن ليس من الأدب أن تقول أن الله ﷻ خالق الشر، بل تنسبه إلى مخلوقاته، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق:١-٢]، يعني هذا المخلوق الذي يكون منه الشر بالنسبة إليك، وأيضًا تُضَمِنُه وتُجْمِلُ فتقول: الله خالق كل شيء، فيدخل فيه الخير والشر.

وقوله: (**وتؤمن بالقدر خيره وشره**)، أي بالنسبة لك والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**﴾[البقرة:١٧٧]، المراد بالبر هنا ما يحبه الله ﷻ والمراد به هنا الدين، المراد

به هنا أيضًا التعبد.

أي ليس البرُ وليس الدينُ وليست العبادة المقصودة من العباد أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، المطلوب منكم لا يتم باستقبالكم للمشرق أو للمغرب، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧])، هذا هو البر وهذا هو الدين، وهذه هي أركان الإيمان الخمسة.

والقدر، ذكر له دليلًا خاصًا هنا: (﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]) مع أنه يدخل في الركن الأول الذي هو الإيمان بالله ﷻ فلذلك بعض من يؤلف في العقيدة يذكر أن أركان الإيمان هي خمسة، لأن القدر هي قدرة الله ﷻ.

ولكن هذا التفصيل كما ذكرنا سابقًا، هذا التفصيل حسب حديث جبريل وحتى الترتيب الذي مشى عليه المؤلف حسب ترتيب حديث جبريل.

(﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾) كل شيء، هل هناك استثناء فيه؟ (﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾)، ولكن لا يدخل فيه ما يتعلق بالله ﷻ وبصفاته، (﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾) أي كل مخلوق، كل مخلوق خلقه الله ﷻ.

(**شيءٌ**) من ألفاظ العموم، (**وكل**) أيضًا من ألفاظ العموم، فليس هناك مخلوقٌ خلقه غيره سواءً كانت أفعال العباد أو سواءً كانت غير أفعال العباد.

ومن جهل المعتزلة أنهم استدلوا بهذه الآية لما كانوا يناظرون الإمام أحمد استدلوا بهذه الآية على القرآن مخلوق، والقرآن كلام الله ﷻ، وكلام الله ﷻ صفة من صفاته.

فقالوا: «إن كل شيءٍ»، والقرآن شيء، مع أنهم أخرجوا من مخلوقات الله أشياء كثيرة، وعموا هناك أن هذا العموم يشملها، أفعال العباد تدخل في عموم الأشياء، أليس كذلك؟ أخرجوها من كونها مخلوقة لله ﷻ ولكن أدخلوا فيها صفات الله ﷻ وهذا من ضلالهم.

(﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي بما سبق به علمنا وجرى به قلمنا بوقتها ومقدارها ووصفها أي:

كل ما هو مخلوق فهو مقدر.

المرتبة الثالثة: الإحسان، المرتبة الثالثة من مراتب ماذا؟ من مراتب الدين مرتبة الإحسان. والإحسان هذه المرتبة لها تعلق بالإخلاص ولها تعلق بمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، فلذلك كلما زاد إخلاص الإنسان كلما زادت مراقبته لله عَزَّوَجَلَّ تَرَقَى في هذه المرتبة.

وهذا الإحسان مبنيٌ على المرتبتين السابقتين الإسلام والإيمان، وهذه هي قمة مراتب الدين؛ لأنها تشمل كمال الدرجتين السابقتين؛ لأنها تشمل، وتتضمن كمال الدرجتين السابقتين.

وهناك من الناس من يدَّعي الإحسان وهم الصوفية دون أن يكون إحسانهم مبنيًا على الدرجتين السابقتين، عندهم دين خاص بهم وعندهم إحسان خاص بهم ليس مبنيًا على الدليل ويدَّعون المراقبة والمشاهدة والدرجات التي عندهم بها تحصل هذه الدرجة.

المهم هنا أن هذه الدرجة مبنية على الدرجتين السابقتين وهي تتضمن كمال الدرجتين السابقتين وهذه تكمن وتعظم وتزيد بزيادة المراقبة والإخلاص.

يقول: وهو ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك. طبعًا هذا نص الحديث الذي سيذكره: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» يعني تعبده كأنك تراه إجلالًا ومهابة وحياءً منه ومحبة له وخشية منه، هذا كله يدخل في ماذا؟ في المرتبة الأولى من مراتب المراقبة، أن تستشعر أنك ترى الله عَزَّوَجَلَّ.

«**فإن لم تكن تراه**» إذا لم تكن تستطيع أن تستشعر هذا الشعور فلابد أن تستشعر أنه يراك، استحضر أنه دائمًا يراك، هذا يجعلك تحسن وتخلص وأيضًا تبتعد عن الرياء، لأن الرياء لماذا يكون؟ لأنك ترى أن فلانًا يراك، إذا استشعرت أن الله عَزَّوَجَلَّ يراك تنسى كل شيء، فتكون مراقبتك كاملة.

«**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» والدليل قوله تعالى: (﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، مع، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]، معهم، المعية تنقسم إلى قسمين: المراد بالمعية هنا المعية الخاصة، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ معهم بحفظه وكلاءته ومعه أيضًا بتأييده وتوفيقه.

إذًا المعية الخاصة فيها أمران، الأمر الأول إطلاع الله عَزَّوَجَلَّ وهذا خاص بالمؤمن وغير المؤمن لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخفى عليه شيء، الأمر الثاني: التأييد والتوفيق، وهذا الذي يُقصد به هنا.

(﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾) محسنون في عبادتهم، ومحسنون في إيمانهم ومحسنون أيضًا في إحسانهم إلى الناس. محسنون كيف؟ يراقبون الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك كله، ومخلصون لله عَزَّوَجَلَّ في ذلك كله.

إذًا المحسن مما له من الدرجات أن له المعية الخاصة، والمعية الخاصة لا تكون إلا للأتقياء والمحسنين.

ذكر أيضًا دليلًا آخر: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[الشعراء:٢١٧]

أي: توكل على الله عَزَّوَجَلَّ، وهنا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ اسمين كريمين من أسمائه تناسب التوكل، لأن الذي تتوكل عليه لابد أن يكون قادرًا، والله عَزَّوَجَلَّ هو العزيز أي: هو غالب على أمره، لا أحد يغالبه إذًا تتوكل عليه.

أيضًا تتوكل على من يرحمك، قد يكون قادرًا ولا يرحم الناس؟ الله عَزَّوَجَلَّ ذكر الرحيم اللي يكون مناسبًا لمقام التوكل، هو عزيز وقادر على كل شيء وهو أيضًا أرحم بعباده منهم.

ثم قال: (﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾[الشعراء:٢١٨]) هذا هو الشاهد هنا، (﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء:٢١٩]) هذا هو الشاهد وهذا للمرتبة الثانية، «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، لابد أن تستحضر أن الله عَزَّوَجَلَّ يراك.

ماذا يقول هنا: (﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾) في تفاصيل عبادتك هو يراك، إذًا لابد أن تستشعر. وهذا هو الذي يحملك على مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢٢٠]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ طبعًا هذا عام، لا تكون في عملٍ من الأعمال، ثم ذكر عملًا خاصًا وهذا العمل مما يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ لا تكون في أي عمل ولا تكون أيضًا في تلاوةٍ للقرآن ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ

تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:٦١] أي وقت شروعكم فيه.

إذًا عملكم وحالكم وما أنتم عليه لا يخفى على الله عَزَّوَجَلَّ، هذا كله ليحملك هذا، وهو أن تعلم وتتيقن أن الله عَزَّوَجَلَّ ينظر إليك يحملك هذا على الإحسان ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ.

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثاني الخلفاء الراشدين، وأيضًا ثاني هذه الأمة في الفضل بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طعن في آخر سنة ثلاثة وعشرين، طعن قبل نهاية شهر ذي الحجة بأربعة أيام وبقي بعد أن طعن أربعة أيام وتوفي في أول يومٍ من سنة أربع وعشرين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

هذا الحديث حديث جبريل روي عنه في «صحيح مسلم» وهو في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، حديث جبريل في صحيح مسلم فقط برواية عمر بن الخطاب وأيضًا في «الصحيحين» من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**بينما نحن جلوس عند رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب**».

هذه الأوصاف التي ذكرت هنا: («**شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**»)، هذه الأوصاف كلها لبيان أنه طلع علينا فجأة، لو كان جاء من السفر كان يعرف إما من ثيابه، وإما من حاله، («**لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**»)، الأمور هذه كلها تبعث على الاستغراب.

شخص غريب وفجأة طلع علينا وهذه صفاته. («**لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**») هذا أيضًا غريب، رجل أول مرة يراه الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب الذي كان يلازمه.

وجاء وجلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يجلس تلميذ يعرفه الشيخ دائما، يلازمه دائمًا، هذه الجلسة حاله كله كان مبعثًا للاستغراب من بدايته.

قوله: («**فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ووضع كفيه على فخذي النبي**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»).

هذا كله من آداب طلب العلم.

وأيضًا هذا («شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ») ذكر العلماء أن هذا أن تحسين الثياب والنظافة والهيئة الحسنة عند الدخول على العلماء والفضلاء والكبار، قالوا هذا من الأدب.

قوله: («وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ»)، ذكره باسمه ولم يذكره بوصفه لم يقل يا رسول الله هذا ليؤكد للناس أنه يريد يستفسر. «يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ ».

طبعًا هذا الحديث حديث جبريل يقول عنه القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة.

أيضًا يقول عنه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم والمعارف والآداب واللطائف بل هو أصلُ الإسلام.

وهناك شروح عديدة لهذا الحديث من أجمل ما رأيته شرح ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع العلوم والحكم، وأيضًا شرح شيخنا الشيخ عبد المحسن له جزء مستقل في شرح هذا الحديث.

قوله: («وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ: الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»).

هنا ماذا ذكر؟ أركان الإسلام. أركان الإسلام والتي ذكرت أركان الإسلام الخمسة أولها: شهادة أن لا إله إلا الله. وذكرنا أن الإسلام لما يذكر مع الإيمان فالمراد بالإسلام الأمور الظاهرة الأعمال الظاهرة، والمراد بالإيمان الأعمال الباطنة.

حتى الشهادة هنا أن لا إله إلا الله، الركن الأول. أيضا أن تشهد والشهادة تكون باللسان، إذًا كلها أعمال، أعمالًا ظاهرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: («قَالَ: صَدَقْتَ»)، هذا جبريل يقول للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقت. («فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ») لأن الذي يسأل، يسأل يستفسر، أما الذي يقول صدقت ويقرره على جوابه صدقت أو لم

تصدق هذا لا يكون إلا من العالم بالجواب كأنه يعلم بالجواب.

فلذلك يقول: « فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ» لأن هذا التصديق يدل على أن عنده علم سابق بالجواب.

(فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) وهذه هي أركان الإيمان، أركان الإيمان الستة، وهذه هي أصول العقيدة الصحيحة وعليها تدور مسائل العقيدة، طبعا مسائل العقيدة هي التي تدخل في الغيبيات يقال عنها مسائل العقيدة.

وهذه لما نسأل نحن عن أصول العقيدة الإسلامية فهذه هي أصول العقيدة: الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قوله: («قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»)، أن تعبد الله، الإحسان لا يتحقق إلا بالعبادة وهذا مما يدل على كذب من يقول أنا وصلت إلى درجة الإحسان وعنده من الخرافات ما الله به عليم، كما نراه عند أولئك الذين يدعون الزهد.

إذًا الإحسان يبدأ بماذا؟ بالإسلام ويبدأ بالإيمان ويبدأ بالعبادة، أن تعبد الله. ولكن عبادتك كيف تكون؟ هنا تحقق مقام الإحسان، تعبد الله كأنك تراه.

يعني مراقبتك لله عَزَّوَجَلَّ واستشعارك برؤيته لك واستشعارك بمشاهدته لك بلغ إلى حد كأنك تراه، وإذا كنت تراه فلابد أن يكون عندك تعظيمه وإجلاله وتستشعر مهابته والحياء منه والخشية منه.

قوله: («فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»)، يعني أقل ما في الأمر أنك تستشعر أن الله عَزَّوَجَلَّ يشاهدك الآن ويراك.

قوله: («قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»)، المسئول عنها هو النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، السائل هو جبريل. إذًا هذه المسألة من المسائل التي لا أعلم عنها شيئًا.

لاحظوا أن هذا الحديث من الأحاديث التي يستدل بها أهل البدع والذين يغالون في النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والذين يرون أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعلم الغيب من أدلتهم هذا الحديث. لماذا؟ لأنه في الأخير قال: يا عمر أتدري من السائل؟

قوله: («قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»)؟ يقولون هنا: الله ورسوله أعلم.

وهنا: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» أجاب بما علَّمَهُ ربه وتوقف فيما ليس عنده علم، «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، طبعًا هناك من يغلوا في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعي أنه يحبه ويغلوا فيه ويعطيه شيء من أوصاف الربوبية والألوهية.

إذًا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، أنا وأنت كلانا ما عندنا علم بهذا الأمر.

(قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»)، الأمارات هي الأشراط وهي الآيات وهي العلامات التي تدل على قرب يوم القيامة. «**قال: أن تلد الأمة ربتها**»، معانيها كثيرة منها أن السراري ستكثر عند المسلمين عند العرب وغيرهم حتى يوجد أن الأمة تلد سيدتها

(«وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ»)، الحفاة العراة العالة هذه الأوصاف كلها تدل على أن أولئك الذين يتطاولون في البنيان كانوا في فقر مدقع.

(«وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ»).

قال: فمضى فلبثنا مليًا فقال، من الذي قال؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»)، الله أعلم؛ لأنه عنده العلم، ورسوله أعلم، لأن الله عَزَّوَجَلَّ علَّمه، وأيضًا الصحابة حتى فيما كانوا يعلمون كانوا يتأدبون، كما في حجة الوداع، أي يومٍ هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. أي بلدٍ هذا؟ وهم في مكة، قالوا: الله ورسوله أعلم.

لأنهم يتوقعون أن يكون الجواب قد يكون جوابًا آخر لأنه يوحى إليه.

قوله: («فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»)، ولذلك كانت أسئلته تفصيلية حتى تكون الأجوبة بهذا التفصيل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

قال الشّارح وفّقه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الكتاب، أو اشتملت عليها هذه الرسالة المختصرة.

الأصل الأول: كان في معرفة الله عَزَّوَجَلَّ وهو المُرسل.

والأصل الثاني: كان في معرفة ما أُرسل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الدين.

والأصل الثالث: هو في معرفة الرسول وهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي عن طريقه وصَلنا هذا الدِّين، وهو الواسطة بيننا وبين الله عَزَّوَجَلَّ في تبليغه للدين، وليس فيه خصائص ألوهيته أو ربوبيته، فهو الواسطة في معرفة الدين.

(الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، محمد: اسمه من الحَمد، وسُمي محمدًا؛ لأن المُحمد هو الذي يتصف بخصال الخير الكثيرة، سُمي بذلك على رجاء أن يكون من أهل خصال الخير التي يكثر من أجلها حمد الناس له، فسُمي بذلك تيمُّنًا.

ومعرفته، والتي تحدث عنها الإمام محمد بن عبد الوهاب، هي أولًا: معرفة اسمه ونسبه، وعُمره وكم بقي في الدنيا ووفاته أيضًا.

ثانيًا: معرفة ما نُبئ به.

ثالثًا: بلده ومهاجره.

ورابعًا: ومعرفة ما بُعث به هو الدين وهو التوحيد، وقد سبق التفصيل في هذين الأمرين في الأصل الأول والثاني، مع ذلك سيتحفنا المؤلف هنا بنتُف تتعلق بأصول الدين، لأن الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سرده للموضوعات متميز، حتى في سرده للتواريخ يهتم بموضوع التوحيد، وهذا تلاحظونه في مختصر السيرة المطبوع، يتميز به مختصر الشيخ أنه دائمًا يُنبه على مسائل العقيدة في عرضه لحوادث السير.. وهكذا سيكون هنا.

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

عبد المطلب: اسمه شيبة.

وسُمي عبد المطلب؛ لأن عمه جاء به من المدينة، وُلد في المدينة، ووالده توفي في الشام وبقي هناك وأسرته لا تعرف عنه، ولما بلغ أو قارب البلوغ سمعت عنه أسرته، فعمه ذهب إلى المدينة ليأتي به، عمه المطلب، ولما جاء به إلى مكة ظنَّوه عبدًا للمطلب، فسموه عبد المطلب، وهذا الاسم مشى عليه، وإلا اسمه شيبة بن هاشم اسمه عمرو، وهاشم من قريش، يعني ما سرد نسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوصله إلى هنا، ونسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ثلاث مراحل:

مرحلة منه إلى أدناه، هذه المرحلة متفقٌ عليها لا خلاف فيها.

ومنها: إلى مرحلة مختلف فيها، وما بعدها مرحلة ضعيفة جدًا، فالمتفق عليه إلى عدنان.

(وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ).

والعرب كما تعرفون ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: العرب العاربة.

والقسم الثاني: العرب المستعربة.

العرب العاربة انقرضوا ليس لهم وجود باستثناء قحطان في اليمن.

والعرب المستعربة: هم الذين بقوا، وهم أصلًا لم يكونوا أصلًا عرب، لكنهم دخلوا وصاروا عربًا بانفتاق لسانهم عن العربية، وفي الحديث حسنه بعضهم: «**أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة**

إسماعيل» أخرجه الزبير بن بكَّار بسندٍ حسن، كما قاله الحافظ ابن حجر، وبعضهم ضعفه.

وفي «صحيح البخاري» أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعلَّم العربية من جُرهم يعني إسماعيل عليه السلام.

والعرب من ذرية إسماعيل وهو الذبيح على الصحيح إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا رسولًا.

قال الشّارح وفّقه الله:

(ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ)، وهذا السن يعني سن الأربعين هو سن الرشد، وباكتماله نُبئ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثلاثٌ وعشرون نبيًا رسولًا.

ثم يُفصل في هذه المرحلة التي هي بعد النبوة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

قال الشّارح وفّقه الله:

ثم ذكر التفصيل في ثلاث وعشرين سنة بقوله: (نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾)، هذا من الكلام المختصر الذي نجده عند الشيخ، ويُشير به إلى الفرق بين النبي والرسول، الفرق بين النبي والرسول: أن النبي يُرسل إلى قوم مؤمنين، ولا يؤمر بالدعوة خارج نطاق المؤمنين.

والرسول يُرسل إلى قومٍ مخالفين كفار، وهؤلاء بعضهم يؤمنون وبعضهم لا يؤمنون، هذا من

الفروق بين النبي والرسل.

أكثر الرسل يُعطون كتب، وبعض الرسل لا، يعني هذا الفرق ليس مضطردًا.

أما الأنبياء وهم يُبعثون مع كتب من قبلهم، فهنا يُشير إلى الفرق بين النبي والمدثر، لما نُبئ بإقرأ، هذا الوحي كان لفظ، ولم يؤمَر فيه بالتبليغ، فبقي نبيًا، وهذا هو النبي، ثم لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر:٢]، هنا صار رسولًا، لأنه أُرسل إلى أولئك الكفار، وأُرسل بكتابٍ ووحيٍ ينزل عليه، الوحي ينزل على الرسول وعلى النبي، لكن الفرق بينهما: أن الرسول يُرسل إلى قوم كفار، والنبي يُرسل إلى قومٍ مؤمنين، وأيضًا لا يؤمر بالدعوة في خارج نطاق المؤمنين، وبعضهم يقولون: النبي يُرسل، ولكنه لا يؤمَر بالدعوة، وهذا ليس دقيقًا، لأن إرساله مع أنه لا يؤمَر بالدعوة، هذا ليس فيه فائدة من إرساله، لماذا أُرسل؟ والصحيح أنه يؤمر بالدعوة، ولكن في نطاق المؤمنين، وبما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أُرسل وكانت قريش ومن معها ومن حولهم كلهم كفار، فنبوته بقيت إلى أن أُمر بالدعوة، لأنه إذا أُمر بالدعوة، فليس هناك قومٌ مؤمنون تكون الدعوة في نطاقهم، فلذلك صار نبيًا بإقرأ، لأن الوحي له، ثم صار رسولًا لما أُمر بالدعوة للكفار.

(**نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾**)، النبوة نُبئ من النبوءة، والنبوءة من الإنباء، وهو بمعنى الإرسال.

والنبي فيه قراءتان: النبيْ، والنبيئ بالهمزة.

النبوة والنبي من النبوَة، وهو الارتقاء.

وكأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار في نبوةٍ من المكان، أي صار مُعززًا مُكرمًا بالنبوة، وهذا إكرام من الله عَزَّ وَجَلَّ.

أما النبيئ: وهو من النبوأة، وهو الإنباء، وسُمي نبيئًا؛ لأنه مُرسل، ولأنه مُنبئ ولأنه يُنبئ غيره.

قوله: (**وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ**)، بدأ يذكر لماذا جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني لما نُبئ ولما

أُرسل أُرسل بماذا؟ تلخيص هذا الموضوع ليس سهلًا أن تُلخص لماذا جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ستذكر مسائل في التوحيد، ستذكر مسائل في الأحكام، ولكن ترتيب الشيخ هنا هو ترتيب حسب الأولوية، ووفق في هذا الاختصار جدًا.

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، هذا أول شيءٍ في دين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل في دين الأنبياء كلهم، (**بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ، عَنِ الشِّرْكِ**)، قدَّمه مراعاةً لكلمة التوحيد (لا إله) فيها نفي الشرك، (إلا الله) فيها إثبات.

(**بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ**)، لم يقل: بعثه الله بالتوحيد والنذارة من الشرك، راعى الترتيب التي في كلمة الشهادة.

(بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ)، وأيضًا في الآية التي سيذكرها: (﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞﴾[المدثر:١-٧])، هذا هو الترتيب، والدليل قوله تعالى: (﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾)؛ أي: يا أيها المتدثر في ثوبه: (﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞﴾) والرجز: كل ما فيه قذر، (﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞﴾) ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:٧] ، ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ معناه: يُنذر عن الشرك، والإنذار هو الإعلام، ولكنه إعلامٌ فيه تخويف عن شيءٍ يُمكن تداركه، ولكن وقت تداركه يطول ليس قد فاجأك، بخلاف الإشعار، لأن الإشعار إعلام فيه تخويف من شيءٍ قد داهمك، أما الإعلام: فمجرد إيصال العلم إخبار.

والإنذار عن الشرك: هو التخلية، لما تُخلي قلبك عن الشرك تُعده للتوحيد، ولذلك هو قبل التوحيد، من كان مُشركًا بالله عَزَّوَجَلَّ يستغيث بهذا وذاك، هذا قلبه يحتاج إلى تطهير، حتى يستعد للتوحيد، أما الدعوة إلى التوحيد فهي تحلية، وكما يقولون: التخلية تسبق التحلية، (﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾) يُنذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، لم يقل: يدعو إلى الصلاة، وإلى الزكاة، وإلى الحج، وإلى الصوم، أول ما ذكره ذكر التوحيد، لأن التوحيد هو أول الواجبات، وهذا لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة، بخلاف غيرهم

من أهل البدع.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «فليكُن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» إذًا أول ما تدعو في جميع الأحوال وفي جميع الأحيان وفي جميع الأزمنة، هو التوحيد، بعض الناس يقول: بما أننا موحدون، فنحن نُقدم ونهتم بالأخلاق، بعضهم يقول: بلادنا بلاد التوحيد، ونحن بحاجة إلى الاهتمام بالأخلاق، نُركز عليها، لماذا؟ لأن البلاد بلاد التوحيد، وهذا خطأ يُناقض منهج الأنبياء في الدعوة، لابد أن تُقدم التوحيد، ولابد أن تُركز على التوحيد ولا تتوانى فيه، لأن التوحيد عليه ينبني ما بعده، إذا صار خلل في التوحيد، فما بعده ما ينفع.

(﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾)، لم يقل: (كبِّر ربك) بل قال: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾)؛ أي خص ربك بالتكبير، لأنه قدم: (وربك) (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾)؛ أي: عظِّمه بالتوحيد، تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ يكون بالتوحيد، ولا يكون باعتقاد التوسل الباطل والشفاعات الشركية كما يزعمه بعض الناس الخرافيون، يقولون: بأن مقام الله عَزَّوَجَلَّ لستُ لأن أطلب منه مباشرةً، أين أنا من ذلك المقام، فلابد أن أذهب إلى ولي من الأولياء حتى يتوسل لي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويُقربني إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لأنني لستُ أهلًا أن أُقدم طلبي مباشرةً إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ويمثلون لذلك يقولون: إذا أردت أن تصل إلى كبير من الكُبراء أو ملك من الملوك، فلابد أن تكون لك شفاعة وسيلة تُقربك إليه.. وهكذا، ومقام الله أعظم، وشأنه أعظم، فلابد أن تكون لنا من الوسائل ما توصلنا إليه.. هكذا يقولون، ولكن الكلام هذا كله هل فيه فرق بينه وبين قول المشركين، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] ، يقولون: نحن ما نعبدهم لأنهم أربابًا مستقلون لا، نحن نعبدهم أولًا: ليرضوا عنا، وبعدما يرضوا عنا يرفعوا شأننا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويُقربونا إليه، وهذا هو المقصود، فكلام المشركين في هذا العصر هو نفس كلام المشركين في ذلك العصر، ولذلك سنعرف في القواعد الأربع أن الشرك الذي نراه بهذه الحجج الساقطة هو شرك المشركين، ليس هناك فرق.

فتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ لا يكون بهذا الاعتقاد، أنت لما اعتقدت أن الله عَزَّوَجَلَّ يحتاج إلى من يشفعُ لك،

أنت جعلته مثل ملوك الدنيا الذي ما عندهم إلا للمستحقين وبغير المستحقين، فلذلك تُرفع إليهم الحوائج عن طريق من يعرفونه ويثقون فيه، لأنهم لا يعلمون الغيب، أنت ظننت أنك تُعظمه، ولكنك قِسته بالمخلوقين، فتعظيمه يكون بالتوحيد الخالص، ولا يكون بهذه الاعتقادات بالشفاعات الشركية، وبالتوسلات الباطلة، عظَّمه بالتوحيد.

(﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾)؛ أي: طهِّر أعمالك عن الشرك، عُبر عن الإعمال بالثياب؛ لأن الرجل يشتمل بها، طهِّر أعمالك عن الشرك، (﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾) قيل: أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرًا بترك الذنوب كلها، (﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾)؛ أي: فاترك، فيدخل فيه أيضًا الشرك وما دونه، لأن أعظم أعمال الشر هو الشرك.

(﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾) الرُّجز: حسب تفسير الشيخ الأصنام، وهجرُها يكون تركها والبراءة منها وأهلها.

كيف يكون ترك الأصنام؟ يكون بالبراءة منها والبراءة ممن يعبدها.

وعلى القول الأول: يكون الرجز عامًا لجميع المعاصي، ويشمل أول ما يشمل الشرك.

والأصنام جمع صنم: وهي اسمٌ مما عُبد من دون الله مما كان على هيئة صورة.

والوثن: أعم من ذلك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (أَخَذَ عَلَى هَذَا) أي على الإنذار عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، بقية ما ذكره في الدعوة كلها تتركز على هذا، (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ)؛ أي: على الإنذار عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، (يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)، هناك خلاف في سنة الإسراء والمعراج، والشيخ يُرجح - وكلامه صحيح- أنها كانت في السنة العاشرة، (وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)، والمعراج: هو اسم للمرقاة التي يُعرج عليها، وهذا اسمٌ لما حصل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإكرام، لأن الله عَزَّوَجَلَّ أخذه في ليلةٍ واحدة من مكة إلى بيت المقدس.. وهذا هو الإسراء، والإسراء ذُكر في القرآن، أما المُعراج فأُشير إليه، وورد ذكره بالتفصيل في الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء:١].

أما المعراج فأُشير إليه، ولكن فُصل في الأحاديث.

والمعراج كان يقظةً، وكان بروحه وجسده، وهذا هو الصحيح.

وفُرضت عليه الصلوات الخمس لما كان في السماء في نفس الليلة.

(وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ) بعد فرضه الصلوات، (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سبب نزول هذه الآية فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

قال الشارح وفقه الله:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لما ذكر الهجرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمر بالهجرة إلى المدينة، ذكر شيئًا عن الهجرة، لماذا هاجر؟ ما هو المقصود الذي هاجر لتحقيقه، ولماذا ترك مكة وهي أشرف بلاد الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول: (وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ)، وبلد الشرك كيف يكون ضبطه؟ هو البلد الذي يظهر فيها الشرك ويكون غالبًا، يكون هو الغالب، أما البلد الذي يكون الغالب فيه التوحيد، وصاحب التوحيد يكون حُرًا، فلا يكون بلد الشرك، فهي باختصار كل بلدٍ يظهر الشرك ويكون غالبًا.

(الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ)، يُبين الإمام هنا: أن ما حصل من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس خاصًا به، وأن الهجرة مشروعة إذا

كان أحدُنا في بلد الشرك مشروع إلى بلد الإسلام، بشرط ألا يستطيع إظهار شرائع دينه في هذا الباب، أما إذا كان يستطيع تكون الهجرة في حقه مستحبة، أما إذا كان لا يستطيع تكون الهجرة في حقه واجبة، من بلد الشرك، إذا كان يستطيع أن يُظهر شعائر الإسلام فالهجرة في حقه من بلد الشرك، إذا كان يستطيع مستحبة، وإذا لم يستطع فالهجرة في حقه واجبة.

(وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)، هذه الهجرة التي يتحدث عنها الإمام هي باقيةٌ إلى قيام الساعة، يُشير الشيخ هنا إلى أن الهجرة نوعان:

هجرةٌ خاصة، وهجرةٌ عامة.

أما الهجرة الخاصة: فهي التي كانت من مكة إلى المدينة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا هجرةَ بعد الفَتْح» يُشير إلى تلك الهجرة الخاصة التي كانت فرضًا على المؤمنين في ذلك الوقت، كان فرضًا عليهم أن يُهاجروا من مكة إلى المدينة، وهذه الهجرة يقول عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا هجرةَ بعد الفتح».

أما الهجرة العامة: وهي التي يتحدث عنها الشيخ، وهي من أي بلد من بلاد الشرك تكون الهجرة واجبة إلى بلد الإسلام إذا لم يكن يستطيع أن يُظهر شعائر الإسلام.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾) ظالمي أنفسهم بترك الهجرة، لأن الموضوع هنا (**الهجرة**).

(﴿قَالُواْ﴾) قالت الملائكة لهم: (﴿فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾) لماذا بقيتم في ذلك البلد مع أنكم لم تستطيعوا أن تظهروا شعائر الإسلام؟ (﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا﴾)، لماذا؟ لتركهم واجب الهجرة، ولارتكابهم كبيرةً من الكبائر، وكما سيذكر الشيخ ترك الهجرة ليس كُفرًا مُخرجًا من الملة، إنما هو من الكبائر، وأصحاب الكبائر إذا ماتوا قبل أن يتوبوا فهم تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عذبهم وطهرهم ثم أدخلهم الجنة، وإن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة من البداية.

وهنا هؤلاء استحقوا دخول جهنم لأجل ارتكابهم هذه الكبيرة، وهي عدم هجرتهم.

(﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨- ٩٩]) إذا لم يستطيعوا أن يُهاجروا لأي عائقٍ من العوائق لأي مانع من الموانع فهم معذورون.

ومن العوائق الآن في عصرنا الحاضر -كما تعرفون- أمور تتعلق بالتأشيرات، وأمور تتعلق بأنظمة الهجرة، فمن حاول ولم يستطع فهو مُلحقٌ بهؤلاء المعذورين: (﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾) المُهم من كان في بلد الشرك، ولا يستطيع أن يُظهر شعائر الإسلام فعليه وجوبًا أن يُهاجر إلى بلد الإسلام، ومن كان يستطيع فالأمر في حقه مستحب.

أما الهجرة إلى بلاد الكفار التي نراها الآن -وللأسف الشديد- نجد أن هناك هجرة إلى بلاد الكفار، هذا الذي أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلام، وأنعم عليه بهذا الدين بهذه النعمة العظيمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، يُعرِّض هذا كله للملوثات، ويذهب إلى بلاد الكفر ويستقر هناك طلبًا للدنيا، والله هذا غريب، نعم المؤمن يُبتلى، لاشك أن هذه الدنيا هي دار ابتلاء، فلماذا تُعرض أغلى ما عندك قد يكون للعدم، قد تكون هناك أسباب تجعلك ترتد -نعوذ بالله- أقل ما فيه أنك استهنت بهذه النعمة العظيمة. هذا أولًا.

ثانيًا: أولادك ومن سيتناسلون من بعدك مسؤوليتهم عليك، لا قدر الله إن دخل الكفر أحد أحفادك أو أحد أولاد أحفادك أو من بعدهم فوزره عليك، فالأمر خطير جدًا، لا يجوز أن يُفرط المسلم في هذه النعمة العظيمة، وهي (دين الله عَزَّوَجَلَّ)، (﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾).

وقوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت: ٥٦])، هذا الخطاب لمن لم يُهاجروا، خاطبهم بالإيمان بقوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾)، وهذا يدل على أن ترك الهجرة ليس كفرًا مُخرجًا من الملة، لأنه خاطبهم بالإيمان، بل هو معصية من المعاصي وكبيرة من الكبائر كما ذكرنا.

وقوله: (قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سبب نزول هذه الآية فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ

بِاسْمِ الإِيمَانِ»)، مع أنهم لم يُهاجروا، والهجرة فرضٌ عليهم.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ»)

والمراد بـ(الهجرة) هنا الهجرة العامة، («وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

قال الشّارح وفّقه الله:

قوله: (فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ)، فُرضت في السنة الثانية من الهجرة، (وَالصَّوْمِ) فُرض أيضًا في السنة الثانية من الهجرة، (وَالْحَجِّ)، الراجح أنه فُرض السنة التاسعة، (وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ)، حتى تحريم الزنا وغيره والخمر والربا كان في المدينة.

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ)، صلاته تعالى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معناه: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتُوُفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وَدِينُهُ بَاقٍ)، توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، فلا أحد يدوم، ولا أحد يُخلَّد في هذه الدنيا، ولكن دينه باقٍ، وهو باقٍ كما هو، لم يلحقه شيء من التحريف مع كثرة المحاولات، (وَهَذَا دِينُهُ) الضمير يرجع إلى ما بينه سابقًا، لأن في الأصل الثاني بين الدين، ولا زال أيضًا يشير إشارات إلى هذا الموضوع، (وَهَذَا دِينُهُ)؛ أي ما سبق ذكره في هذه الرسالة، (لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ) كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ما ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طائرًا يُقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه عِلمًا» أخرجه الإمام أحمد في مسنده، قال رجلٌ من المشركين لسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لقد علَّمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة**» يُريد أن يستهزئ به، قال: «أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم». هذه أحكام تتعلق بما تستهزئ به، نعم علَّمنا كل شيء.

إذًا: (لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ)، هذا من حيث الإجمال.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

قال الشَّارح وفَّقه الله:

بعد الإجماع يُريد أن يُشير إلى شيء من التفصيل: (وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ)، لأن التوحيد هو أصل كل خيرٍ وهو أعظم الخير.

(وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ)، هذا كله من الخير (وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ)؛ أي ينهى عنه، لاحظتم أن الشيخ قضية التوحيد وقضية الشرك ينتهز أي مناسبة لبيانها، فأعظم الخير هو التوحيد، وأعظم الشر هو الشرك، سبحان الله بعض الناس آخر ما يُفكر فيه تعليم الناس التوحيد، وآخر ما يُفكر فيه تحذيرهم من الشرك، لأنه يزعم أن هذه الأمور تُفرق الأمة، ولا ينبغي أن نتطرق إلى المسائل التي تُفرق الأمة، لأننا بحاجةٍ إلى أن نتَّحد ضد أعدائنا، فلابد أن نُركز على الأمور التي هي تجمع ولا تُفرق! تجتمع على ماذا؟ تجتمع على الضلالة، إذا لم تُركز على التوحيد، إذا لم تعلم وتتعلم وتُعلم التوحيد تجتمع على ماذا؟ لا يُمكن، فالخير وأعظم الخير هو التوحيد، وأعظم الشر هو الشرك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)، وهذا أيضًا من المسائل المُجمع عليها بين المسلمين عمومًا -لا أقول بين أهل السنة فحسب، وإنما بين المسلمين عمومًا- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله إلى الناس كافة، بعثه إلى الجن والإنس.

(وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾) لم يستثن أحدًا لم يستثن العرب من غيرهم، وهو رسولٌ إلى الثقلين الجن والإنس، ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس كافة**» متفقٌ عليه.

أيضًا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأكمل اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

قال الشَّارح وفَّقه الله:

قوله: (وأكمل اللهُ بِهِ الدِّينَ) لم يبق في دين الإسلام شيءٌ يحتاج إلى تكملة، دين الله عَزَّوَجَلَّ أكمله بنبيه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣]) هذه الآية نزلت يوم عرفة في حجة الوداع: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾)، فدينكم لا يحتاج تكميل، لا يحتاج إلى ترقيع، (﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾) هذه نعمتي أتممتُها عيكم، (﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣])، فارضوا بهذا الدين دينًا لكم.

ولكمال هذا الدين ولتمامه أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل من فعل ما لم يأمر به وزاد في دين الله ما لم يأت به في الشرع، فإنه مردود، «**من عمِلَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌ**».

فالدِّين كامل لا يحتاج إلى تكميل.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

قال الشّارح وفّقه الله:

هذا ذكره الشيخ، مع أنه لا يحتاج أن يذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميت، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات ودفنه أصحابه وصلوا عليه، وقُبر في قبره معروف، ما يحتاج أن تكون فيه العقيدة، وفيما تُخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ميت والدليل عليه كذا وكذا، أليس كذلك؟ ولكن للأسف هناك من يعتقد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمُت، وأنه حيٌ ليست حياةً برزخية، لأن الحياة البرزخية حي حياتًا عادية في قبره، هكذا يعتقدون، وكثيرٌ منهم يعتقد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يفتر من زيارته يزوره أحيانًا، وهذا يزوره والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزوره، وهو يُكلمه والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبادله بكثيرٍ من العقائد التي انتشرت بسبب التصوف، فلذلك يقول الشيخ هنا: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾) هذا الخطاب لما كان حيًا؛ لأنه سيموت لا محالة، (﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

قال الشّارح وفّقه الله:

هذه المسألة من المسائل التي تتعلق بركن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر لا يكون إلا بالاعتقاد الجازم أن الناس سيُبعثون سيكون هناك بعثٌ للأجساد والأرواح، وأن هناك حسابٌ وكتاب، ومع ذلك ذكر بعض من شرح هذه الرسالة مِنهم الشيخ صالح آل الشيخ أنه كان هناك أُناس في وقت الشيخ بعض أهل البوادي كانوا يُنكرون البعث، وهذا غريب جدًا، يقول: (**بعض أهل البوادي في عصره كانوا يُنكرون البعث**)، ونُلاحظ الشيخ يذكر هذه المسألة يُوردها مرارًا وتكرارًا، فلا نستغرب إذا علِمْنا السبب، فلذلك بين الشيخ هذه المسألة كثيرًا في كتبه ورسائله.

(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾)؛ أي من التراب (﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨])، هذا الإخراج هو في البعث بعد الموت.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ) هذا أيضًا مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر أن نؤمن أن هناك بعث، وأن نؤمن أن بعد البعث حساب وكتاب.

وقوله: (﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) هذا هو وجه الشاهد: وجه الشاهد أن الشيخ يقول: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التغابن: ٧])؛ أي: من يزعم أنه لن يُبعث هذا كافر، (﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾) أُمر بأن يحلف على أن البعث سيكون، (﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧])، لأن الإعادة أهون من الابتداء، طبعًا أهون الله عَزَّوَجَلَّ ليس في حقه هين وأهون، كل ذلك هين في حقه، ولكن هذا في مقاييس البشر، الإعادة تكون أهون من الابتداء.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٥].

قال الشارح وفقه الله:

بعد أن ذكر الشيخ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل مُبشرًا ومُنذرًا، ذكر أن هذا ليس خاصًا به، ليس خاصًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أرسل الله جميع الرسل مُبشرين ومنذرين، جميع الرسل أُرسلوا يُبشرون أهل التوحيد، ويُنذرون أهل الشرك، والدليل قوله تعالى: (﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥])؛ أي مع إرسال الرسل تنتفي حجة المشركين، فلا يستطيعوا أن يحتجوا على الله عَزَّوَجَلَّ بأن يقولوا: أن ما نُحاسب عليه ما أُخبرنا عنه، فتقوم الحجة عليهم بإرسال الرسل.

طبعًا هنا قوله: (وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعدها عندي نقص في نُسختي، (وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ).

الطالب: (وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ: والدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]).

الشيخ: طبعًا هذا ذُكر سابقًا، ولكن في بعض النسخ موجود، حتى ولو لم يوجد سبق أن ذكر الشيخ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم النبيين.

(والدليل عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٥]). إذًا نوح عليه السلام هو أول الرسل، أول الأنبياء هو آدم عليه السلام، ولكن أول الرسل هو نوح عليه السلام.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال الشارح وفقه الله:

(وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ)، هذا هو الأمر الأول، لأنه أول الواجبات وآخر الواجبات هو التوحيد.

قوله: (يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦])، هذا معنى كلمة: (لا إله إلا الله)، فـ(لا إله) فيها اجتناب الطاغوت، (إلا الله) فيها معنى (اعبدوا الله).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ». وَالطَّوَاغِيتُ كثيرة وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إلا اللهُ.

قال الشّارح وفّقه الله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يُفسر الطاغوت، ابن القيم كما تعرفون هو أشهر تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة سبعمائة وست وخمسين.

يقول: (الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ)، الطَّاغوت: صيغة مبنية للكثرة والسِّعة، من طغا يطغا طُغيانًا، وهو اسمٌ لكل ما تجاوز به العبد حدَّه سواءً كان معبودًا، سواءً كان متبوعًا، أو سواءٌ كان مُطاعًا، فهو طاغوت، فإذا كان أحدنا يتبع فلانًا من الناس في أمرٍ لا يجوز أن يُتبع فيه، فهذا جعله طاغوت، وكذلك الطاعة وكذلك العبادة.

ثم ذكر أن الطواغيت كثيرة لا تنضبط، لأن بعض الناس يعبد هذا، وبعض الناس يتبع هذا، فهي كثيرة لا تنضبط، ولكن أشهر رؤوسهم خمسة، إبليس لعنه الله، لأن إبليس هناك من يعبده، وهم كُثر، وهناك من يطيعه وهم أكثر، وهو طاغوت من هذه الناحية.

(وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ)، من عُبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ وهو يرضى بهذا الشر، وهذا القيد مُهم: من عُبد وهو لا يدري أنه يُعبد، هذا لا يلحقه هذا الاسم، أما مَنْ عُبد وهو راضٍ فهذا طاغوت، مثلما نراه سبحان الله! كثيرٌ من الناس يدعو إلى أنْ يسجد له الناس، ويدعو إلى أن يُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ كثيرون، وهؤلاء

الطاغوت.

(وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ)، أيضًا من يدعو الناس إلى عبادة نفسه فهو طاغوت، (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ)، مثلما نراه كثير من أئمة الصوفية يدَّعي شيئًا من علم الغيب، فهذا طاغوت، (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ)، هذا أيضًا طاغوت، من حكَّم في عباد الله ﷻ غير دين الله ﷻ، فهذا طاغوت، والله ﷻ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:٦٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، فالحُكم هذا لله ﷻ، وهذا يرجع إلى معاني الربوبية، من معاني الربوبية: أن الحُكم له: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] ، فمن يُحكم غير ما أنزل الله ﷻ، فهذا طاغوت، وهؤلاء يختلفون باختلاف تحكيمهم لغير ما أنزل الله ﷻ، ومَن يحكم بغير ما أنزل الله راضيًا به ومعتقدًا أن هذا أفضل من حكم الله ﷻ، وعالمًا بحكم الله ﷻ، فهذا كفرٌ مُخرجٌ من الملة، من يحكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أنه يُخالف ما أنزل الله ﷻ، وهو راضٍ به، ويعتقد أن هذا أفضل من حكم الله ﷻ، فهذا خارجٌ من الملة اتفاقًا.

ومن يقع في الحكم بغير ما أنزل الله، طبعًا الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ عام في العقائد في الأحكام، وبعض الناس يخصونها في أحكام الدماء والحدود، ما أنزل الله ﷻ هذا عام، فمن يحكم بغير ما أنزل الله في نفسه وفي غيره، وهو يعتقد أنه وقع في المعصية، هذه معصية من المعاصي، والمعاصي كما ذكرنا كلها شُعب الكفر، فلذلك يُعبر الأئمة عن هذه المسألة: أنها كفرٌ دون كفر، فمن يحكم بغير ما أنزل الله، ومن غير أن يعتقد أنه أفضل من حكم الله ﷻ، فهذه معصية وهي كبيرة من الكبائر، ومن أخطر المعاصي.

والدليل قوله تعالى: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]) قدمه على الإيمان بالله ﷻ: (﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦])، وهذا معنى لا إله إلا الله، لأن لا إله إلا الله فيه ركنان:

الركن الأول: نفي الألوهية الحقة عن غير الله عَزَّوَجَلَّ: (لا إله).

الركن الثاني: (إلا الله) إثبات الألوهية الحقة لله عَزَّوَجَلَّ وحده.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الشارح وفقه الله:

يقول: (**وَفِي الْحَدِيثِ**) الذي أخرجه الترمذي وغيره: (**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ**)، لأن الإسلام كما سبق هو أوسع، وأضيق منه الإيمان، وأضيق منه الإحسان.

فـ(«**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ**») أساسه.

(«**وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ**»)، شُبهت الصلاة بالعمود، والعمود معناها: الركن، وهذا الحديث من الأحاديث التي يستدل بها مَن يذهب إلى تكفير تارك الصلاة، لأن الشيء لا يكون بغير العمود.

(«**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**») ذروة سنام الإبل هو أعلى شيء فيه.

الجهاد في سبيل الله لا يفعله إلا مَنْ كمُل وتحقق إيمانه، إلا من وصلَ إلى حق اليقين، لأن هذا بذلٌ للنفس، وهذا لا يُقدم عليه إلا من كان كامل الإيمان، والإيمان قيل عنه: أنه ذروة سنام الدين، لأن الدين مراتب، وأعلى هذه المراتب الإحسان كما عرفنا، والإحسان ذكرنا أنه يجمع بين كمال الإسلام وكمال التوحيد، فمن كان في هذه الدرجة هو الذي يُقدِم على بذل نفسه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ولابد أن نعرف أن هذا الجهاد الذي نتحدث عنه هو في سبيل الله لإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ، قيل لأحد التابعين أو لأحد

الصحابة: لماذا لا تُقاتلون؟ قال: كنا نُقاتل لئلا تكون الفتنة، وأنتم تقاتلون لتعم الفتنة. هناك الآن من يُقاتل ويدَّعي أنه يُجاهد في سبيل الله، ويقتل الأبرياء ويتوسع في دماء المسلمين، ويُسمي هذا جهادًا، هذا ليس من الجهاد في شيء، ولكن من كان مجاهدًا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فنحن ندعو ليل نهار، نسأل الله أن يوفقهم، ونسأل الله أن ينصرهم، ولكن الجهاد لا يكون بالإفساد، فرقٌ بين الإفساد والجهاد، ما يقوم به الخوارج قديمًا وحديثًا هذا ليس من الجهاد، ولكن الجهاد في سبيل الله كما في هذا الحديث، هذا لا يصل إليه إلا من كان في أعلى مراتب الدِّين، ولذلك شبهه بهذا، (**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**)، لأن الرجل يترقى في مراتب الدين، فلا يصل إلى هذه الدرجة إلا من كان إيمانه كاملًا.

ثم قال: (**وَاللهُ أَعْلَمُ. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم**).

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزي المؤلف خير الجزاء على ما كتبه ولخصه، وألَّف هذه الرسائل المختصرة والمطوَّلة، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يُميتنا على التوحيد الخالص، وأن نعيش عليه، وأن يقينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.